



الثورة الفرنسية

عرض ونقد
في ضوء التربية الإسلامية

د. عدنان حسن باحارث
أستاذ التربية الإسلامية المشارك
جامعة أم القرى

الثورة الفرنسية

عرض ونقد

في ضوء التربية الإسلامية

د. عدنان حسن باحارث

استاذ التربية الإسلامية المشارك

جامعة أم القرى

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

باحارث ، عدنان حسن
الثورة الفرنسية عرض ونقد في ضوء التربية الإسلامية. / عدنان حسن باحارث.- مكة المكرمة ، ١٤٣٣هـ

..ص ١ ..سم

ردمك: ٨-٩٨٧٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الثورة الفرنسية ٢- أوروبا - تاريخ - العصر الحديث ٣- التربية الإسلامية أ. العنوان

ديوى ٩٤٤,٠٤ ١٤٣٣/٣٨٨٠

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٣٨٨٠
ردمك: ٨-٩٨٧٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

عنوان المؤلف:

د.عدنان حسن باحارث

المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة ٢١٩٥٥ - ص ب : ٦٥٢٥

جوال : ٠٠٩٦٦٥٥٥٥٣٢٦٠٥ فاكس : ٠٠٩٦٦٢٥٥٠١٥٦٩

Email : Adnan3456@hotmail.com Web Site : www.bahareth.org

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ ٢٠١٢م



مكتبة إحياء التراث الإسلامي
للنشر والتوزيع والطباعة

(١) مكة المكرمة - الزاهر ، مقابل أسواق بن داود عمائر المنصور
تليفون ، ٥٤٤٥٩٨٤ - فاكس ، ٥٤٣٦٦٢٠
(٢) الزاهر - ملقية أمام مستوصف علي الصاعدي ت ، ٥٤٢٤٤٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث : (*)

الحمد لله القائل في كتابه العزيز : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [(١)] ، أحمده وأستعينه وأستغفره ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعدَ .. فقد عمَّت أوروبا في القرن الثامن عشر موجة فكرية ثقافية ، تَلفِت إلى الوعي بالذات والواقع ، وتثير العقل إلى النظر والتأمل ، وتحثُّ الفرد على النقد والعصيان ، تولاها جمع من الفلاسفة المفكرين ، من أمثال : روسو ،

(*) قُبل هذا البحث للنشر بتاريخ ١١/ ٠٥/ ٢٠١١م في مجلة كلية التربية بجامعة عين شمس بالقاهرة ، إلا أنه تقرر نشره في العدد : (١٦) ، لعام ٢٠١٠م ، الذي تأخر صدوره بسبب أحداث الثورة .

(١) آل عمران ٢٦ .

وفولتير ، ومونتيسكيو ، [1] حيث سرت آراؤهم ونظراتهم الجريئة تخط طريقها إلى الأذهان والقلوب ، وتُعد شعوب أوروبا لمرحلة جديدة ، ليس للملوك ، والرهبان ، والنبلاء مكان فيها ، وإنما هو : البرلمان ، والقانون ، والانتخاب ؛ بحيث يتبوأ الفرد - أياً كان - مكانة لا تختلف عن غيره ، فليس لغيره - أياً كان - ميزة تميزه عليه .

ولقد سبق الأديب الإنجليزي شكسبير (١٥٦٤م-١٦١٦م) إلى إثارة الفكرة الفردية ، [2] إلا أن التعبير عنها بقوة وواقعية كان من مهمة فلاسفة عصر التنوير في بداية القرن الثامن عشر ، ممن كان لهم أبلغ الأثر في شعوبهم ، حتى نصبوا لهم التماثيل تخليداً لذكراهم . [3]

ولقد كان الشعب الفرنسي أكثر الشعوب الأوروبية تأثراً بآراء الفلاسفة التنويريين وأفكارهم وتوجهاتهم ؛ فقد

---

(١) انظر : غروتويزن ، برنار . فلسفة الثورة الفرنسية . ص ٢٣-٣٨ .

(٢) انظر : صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ١٠١-١٠٢.

(٣) انظر : ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٤١٢ .

كان المثقف الفرنسي صدىً يعكس أحزان روسو ، وجراءة فولتير ، وتوجيهات مونتيسكيو ، حتى تشرب بكتاباتهم ، فأسس عليها ثورته العارمة ، وبنى بها دستوره ، وأقام عليها مبادئه .[1]

لقد كانت فرنسا حاضرة دول أوروبا الأولى ، من جهة مواردها ، وعدد سكانها ، وتنظيمها ، فهي الأفضل بين الدول فيما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر ،[2] وقد استغرق توحيدها خمسة قرون ابتداءً من نهاية القرن العاشر الميلادي ، فقد كانت في أول أمرها محدودة بمدينة باريس وما حولها ،[3] ثم تطورت بعد ذلك حتى بلغت زمن الثورة ثلاثاً وثمانين

---

(١) انظر : البعلبكي ، منير . موسوعة المورد . ج ٤ ، ص ١٧١ .

(٢) انظر : أ- حاطوم ، نور الدين . تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا والعالم . ج ١ ، ص ٤٥ .

ب- فيشر ، هربرت . أصول التاريخ الأوروبي الحديث . ص ٢٥٩ و ٣٣٨.

(٣) صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ٤٦ .

مقاطعة .[1]

ولقد كانت اللغة الفرنسية لغة المثقف الأوروبي ، وواسطة الاتصال والتفاهم الدبلوماسي العالمي ؛[2] ومن هنا فإن التغيير الذي يطال فرنسا هو تغيير لمركز القيادة الثقافي والسياسي والاقتصادي ، الذي يمكن أن يؤثر في العالم أجمع ، ولهذا حمل خطاب الثورة الفرنسية طابع العموم ، وتناول الإنسانية بشمول .[3]

ولم يكن واقع فرنسا السياسي بدعاً من بين دول أوروبا الأخرى ؛ فقد حكمها الملوك مؤيدين بالعصمة الإلهية ، يحكمون باسم الرب ، كنواب عن الله تعالى ،[4] مدعومين بمباركة الكنيسة ، وغطائها الشرعي ،[5] إضافة إلى تسلط النبلاء على

---

(١) ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ١٨٠.

(٢) ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٣٦ ، ص ١٢٢.

(٣) انظر : جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ١١٣-١١٦.

(٤) فوللر ، ج . ف . إدارة الحرب . ص ٢١.

(٥) ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٣٦ ، ص ١٣.

الناس بالنظام الإقطاعي ، متعاونين في ذلك مع الكنيسة ، التي شاركت بدورها في مظالم الشعب ، وفرض الإتاوات والضرائب . [1]

لقد اجتمع للطبقة الكادحة من الشعب الفرنسي العديد من الظروف : السياسية ، والاقتصادية ، والدينية ، التي كونت بدورها موجة غضب شعبي عام ، تولدت عنها ثورة طبقية عارمة ، قادها المتعلمون البرجوازيون ، بدأت بسقوط سجن الباستيل الشهير عام ١٧٨٩م ، وانتهت تداعياتها بسقوط نابليون بونابرت وعودة الملكية من جديد عام ١٨١٤م ، حيث تخلل هذه السنوات العديد من الأحداث المثيرة ، والصراعات العنيفة ، والتنافس السياسي ،

(١) انظر : أ- الأدهمي ، محمد مظفر . دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث . ص ٨ .

ب- رمضان ، عبدالعظيم . تاريخ أوروبا والعالم الحديث . ج ١ ، ص ٣٠١ .

جـ- حاطوم ، نور الدين . تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا والعالم . ج ١ ، ص ٤٧ و ٥٤.

والقتال العسكري .[1]

ولئن كانت الثورة الفرنسية وتداعياتها قد انتهت بعودة الملكية من جديد ؛ فإن أثرها الفكري - المحلي والعالمي - لا يزال حياً في المبادئ والحقوق والثقافة العامة ؛ فإن آراء فلاسفة عهد الأنوار في بداية القرن الثامن عشر تحولت إلى واقع سياسي ، حاولت من خلاله الثورة الفرنسية تجسيده في صور من الليبرالية المتطرفة ، التي أخذت مداها في العالم من حولها ، بما تحمله من الخطاب العالمي الممتد ، الذي يباشر العقل والعاطفة معاً .

والتربية الإسلامية - بأبعادها الشاملة للشخصية الإنسانية - لها موقفها من الثورة الفرنسية وتداعياتها

---

(١) انظر : أ- البطريق ، عبدالحميد وعبدالعزيز نوار . التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . ص ٤٨٥ .

ب- راشد ، زينب عصمت . تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر . ص ٣٨ .

جـ- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ١٣ .

د- سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٢٣٥-٥٣٠ .

السياسية والفكرية ؛ فإن بعض مبادئ الثورة تتقاطع مع الفكرة الإسلامية ، تتوافق معها تارة ، وتخالفها تارة أخرى ؛ إذ لم تعد مبادئ الثورة الفرنسية شأناً داخلياً ، وإنما أصبحت شأناً عالمياً ، ينادي بها الثوار في كل مكان ، فما تزال شعاراتها : الحرية ، المساواة ، العدالة ... موضع إجلال عالمي ، وأداة إثارة عاطفية ، ولهذا تحتاج إلى تقويم في ضوء المعايير الإسلامية ، لا سيما وأن الفكر الليبرالي – المدعوم والمؤصل بالثورة الفرنسية – أصبح موجة طاغية يتبناها العديد من المفكرين المسلمين .

مشكلة البحث :

قامت الثورة الفرنسية بمهمتين مزدوجتين في وقت واحد ، الأولى في قضائها على الدولة ، ممثلة في الملكية والإقطاع ، والثانية القضاء على الدين ممثلاً في الكنيسة ورجالها ، وهذا ما يميز الثورة الفرنسية عن غيرها من الثورات السابقة ؛ [1] فهي ثورة سياسية ، واجتماعية ، واقتصادية ، ودينية في وقت واحد ، قلبت نظام الحكم بالكامل ، وساوت بين الطبقات

---

(١) ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٣٩٧ .

الاجتماعية ، ونظمت العملية الاقتصادية ؛ [1] فهي بهذا الواقع ثورة شاملة ، تقيم الحياة بأكملها على نهج جديد ، ليس الدين من أسسه ، بغض النظر عن صحة هذا الدين أو بطلانه ، بمعنى أن الثورة تؤصل للفكرة العلمانية ، [2] المتضمنة فصل الدين عن الحياة والسياسة ، بل ربما إلى ما هو أبعد من هذا وهو إلغاء الفكرة الدينية برمتها ؛ فقد تبنى بعض قادة الثورة هذا الاتجاه المتطرف ، [3] حين أشاعت الثورة الفوضى في الحياة الدينية المسيحية ، [4] رغم أن المشاعر الدينية في الشعب الفرنسي كانت موجودة فيهم إلى حد ما ، بدرجة يصعب تجاهلها ؛ [5] إذ لم يكن هدف الثورة في بادئ الأمر أكثر من ضبط الملك والنبلاء ورجال الدين

(١) جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ٥-٦ .

(٢) انظر : سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٥٦٤-٥٦٥ .

(٣) انظر : سلطان ، عثمان . التاريخ السياسي . ج ١ ، ص ٢٧٠-٢٧١ .

(٤) موسنييه ، رولان وآخران . القرن الثامن عشر – عهد الأنوار . ج ٥ ، ص ٤٨٠ .

(٥) ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٣٩١ .

بنظام دستوري عادل ،[1] ومحاولة صهر الجميع في كتلة الأمة الواحدة ،[2] إلا أن الأحداث أريد لها أن تسير في اتجاه آخر ، أبعد من قضية الدستورية الملكية ، إلى الإلحاد .

وهذا يشير إلى قوى خفية مستترة داخل منظومة الثـورة ، تديرها وتوجهها لمقاصد أبعد ، حيث تشير الوثائق التاريخيـة إلى أن المحافل الماسونية كان لها الـدور الأكـبر في إدارة عجلـة الثورة ، وتوجيه دفتهـا ،[3] ولهـذا بـرزت في بعـض مبـادئ الثورة وفلسفتها وممارساتها توجهات متطرفة حـول مفـاهيم : الحرية ، الـدين ، القـانون ، الإنسـان ، الكـون ، الحيـاة ... ، حيث سـيطرت الفكـرة الماديـة علـى العقـول ، الـتي لم تعـد تـدرك إلا المحسـوس ، طـاردة بـذلك الفكـرة الروحيـة مـن حياتها .

والتربية الإسلامية المؤيدة بالكتاب والسنة لهـا موقفهـا الواضح من عناصر الوجود ، بأبعاده : الإنسانية ، والكونيـة ،

---

(١) المرجع السابق . ج ٤٢ ، ص ٤٥٣-٤٥٤.

(٢) ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ١٨٩.

(٣) انظر : كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ٧٩ و ٩٠-٩١ و ٩٤ و ٩٨-١٠١ و ١٠٤ و ١٠٨.

والحياتية ،[1] فتتخذ من الدين أساساً للحياة بكل أبعادها المختلفة .

ويمكن تحديد مشكلة البحث في كونها محاولة لعرض الثورة الفرنسية عرضاً تاريخياً ، يتناول : ممهداتها ، وأحداثها ، وتداعياتها ، ونتائجها ، وكشف شيء من أسرارها الخفية في علاقتها المستترة بالمحافل الماسونية الفرنسية ، إضافة إلى نقد مبادئها ، وتقويم منجزاتها في ضوء المفاهيم والتصورات التربوية الإسلامية .

تساؤلات البحث :

من خلال العرض السابق لمشكلة البحث ؛ فإن البحث يسعى للإجابة عن الأسئلة الآتية :

السؤال الرئيس : ما حقيقة الثورة الفرنسية وإنجازاتها من الوجهة التربوية الإسلامية ؟

---

(١) انظر : أ- النحلاوي ، عبدالرحمن . أصول التربية الإسلامية وأساليبها . ص ٣٠-٥٦.

ب- صبح ، محمد أحمد . التربية الإسلامية – دراسة مقارنة . ج ١ ، ص ٢٦-٤٢ .

الأسئلة الفرعية :

١- ما الأسباب التي مهدت لقيام الثورة ؟

٢- كيف تمت أحداث الثورة ؟

٣- ما أهم مبادئ الثورة ؟

٤- ما موقف الثورة من الدين ؟

٥- كيف أثرت الثورة في العالم من حولها ؟

٦- ما أسباب نجاح الثورة ؟

٧- ما دور اليهود في توجيه الثورة لتحقيق مصالحهم ؟

٨- ما موقف التربية الإسلامية من إنجازات الثورة ؟

أهداف البحث :

يقصد البحث من خلال معالجته لموضوع الثورة الفرنسية إلى تحقيق الأهداف الآتية :

١- عرض تاريخي موجز لأهم ممهدات الثورة ، وأحداثها ، وتداعياتها .

٢- التعرف على أهم مبادئ الثورة وإنجازاتها وأثرها في العالم .

٣- الوقوف على أهم الأسباب التي أدت إلى نجاح الثورة .

٤- تفسير موقف الثورة من الكنيسة ورجالها من خلال الكشف عن علاقة اليهود الخفية بالثورة .

٥- تقويم إنجازات الثورة ونقد بعض مبادئها في ضوء المفاهيم التربوية الإسلامية .

أهمية البحث :

الثورة الفرنسية إنجاز حضاري أوروبي كبير ، تجاوز حدوده الجغرافية في الأرض الفرنسية ليشمل بفكره الجريء ، وأطروحاته العقلية ، وإصراره الشديد أرجاء الدنيا ، فيبهر العقول ، ويسلب الأفهام ، ويأسر القلوب ، بما يحمله هذا الإنجاز من المعاني الحضارية ، والمقاصد الإنسانية ، والغايات العالمية ، يخاطب العقل ، ويؤكد الفهم ، ويلهب العاطفة ، ويثير الحماسة ؛ [1] فالحرية ، والمساواة ، والعدالة ، والقانون ،

---

(١) انظر : سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٥٩٧.

والأمة .. كلُها مفردات مثيرة للعقول والعواطف ، فتحرك الجامد ، وتبعث النائم ، وتلفِت المحروم إلى حقوقه ، فما زالت مبادئ الثورة الفرنسية – بما تحمله من بريق المعاني والأهداف – مقاصد كثير من الشعوب المستضعفة ، المتطلعة للخلاص من الظلم والاضطهاد والحرمان ، في ظل الأنظمة الدكتاتورية المستبدة ، التي لا تعترف بحقوق المواطنين ، فيجد المستضعفون خلاصهم في تبنّي مبادئ الثورة الفرنسية ، والأخذ بآراء فلاسفتها الذين أسسوا لفكرها ، ومهّدوا لمبادئها في بداية القرنِ الثامن عشر ، الموصوف بعهد الأنوار ؛ ولهذا فقد اتُخذت الثورة الفرنسية ، وقبلها الثورة الأمريكية مثالين للثورات الأخرى التي قامت بعدهما .[1]

ومنذ " أواخر القرن الثامن عشر أصبحت الليبرالية أيديولوجية لدى كل الدول النامية " ،[2] ولما كان العالم الإسلامي الحديث ، يعيش ضمن منظومة دول العالم الثالث النامية ، التي تعاني تخلف التنمية ، وضعف الموارد ،

(١) مقدمة في الليبرالية من موسوعة ويكيبيديا . ص ٣٩ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٠ .

والاضطهاد السياسي ؛ فإنه مرشح لتبنِّي بعض أطروحات الثورة الفرنسية ، بأبعادها الفكرية المتطرفة ، والحركية العنيفة ؛ إذ لا بد للغليان الشعبي من متنفَّس ؛ لذا يجد المتأزِّمون في الطرح الليبرالي – المدعوم بآراء الثورة الفرنسية – متنفَّساً للتعبير عن الغضب والاستنكار الشعبي للمظالم الاقتصادية ، والاستبداد السياسي ؛ إذ إن أهم ما يميز الليبرالية في صورها المختلفة هو مراقبة السلطة السياسية وضبطها ، سواء كانت هذه السلطة ممثلة في الدولة أو في الدين .[1]

وقد عبَّرت الثورة الفرنسية عن مفهومَي : الحرية ، والفردية بما لا مزيد عليه ، بل تجاوزت ذلك لتطال الثوابت الدينية بالنقد والفحص والمراجعة ، ولئن كان ذلك مستساغاً مع الدين المحرف ، والطغيان الكنسي ؛ فإنه لا يصح بحال مع الدين الإسلامي الحق ، الذي يرفض الظلم ، ولا يقبل له تسويغاً .

ولقد تأثر العالم الإسلامي بالاتجاه الليبرالي ، الذي

---

(١) انظر : بودون ، ريمون وفرانسوا بوريكو . المعجم النقدي لعلم الاجتماع . ص ٤٦٦-٤٦٧ .

عبرت عنه الثورة الفرنسية بالحرية والفردية ، حتى عند بعض الإسلاميين ، فظهر بين بعضهم ما يسمى بالليبرالية الإسلامية ، حيث أعطوا لأنفسهم الحق في مراجعة النصوص الشرعية ، وإبداء الرأي الديني ، متخطين بذلك حد التخصص العلمي ، ومتجاوزين بنظرتهم حدود الفهم الشخصي ، فاستطاعت الثورة الفرنسية أن تصل بمنهجيتها الفكرية إلى المجتمع المسلم ، لتزود المثقفين بآليات النظر والفهم ، وتمدُّهم بالحماسة والعاطفة كما فعلت بالفرنسيين .

والاتجاه العلماني الذي تبنته الثورة الفرنسية ، والمتضمن نزع التقديس عن كل شيء ، مع الفصل بين الثقافة والفكر والأخلاق ، وبين التصورات الدينية ، [1] هو اتجاه مرفوض في المفهوم الإسلامي ؛ لأن الاعتقاد بالمقدسات أمر أصيل في اعتقاد المسلمين ، كما قال تعالى : ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ ، [2] والفصل بين ما هو ديني وما هو دنيوي هو مرفوض أيضاً كما قال

---

(١) انظر : ذبيان ، سامي وآخرون . قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ص ٣٣٧.

(٢) الحج ٣٢ .

تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ ، [1] وقال رسول الله ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون ، أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » ، [2] وقال أيضاً : « لا يغرس مسلم غرساً ، ولا يزرع زرعاً ، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء ، إلا كانت له صدقة » . [3]

والإسلام بمنهجه التربوي الكامل يصوغ المسلم صياغة ربانية كاملة ؛ تشمل عقيدته ، وخلقه ، وفكره ، فلا يشذ عن ذلك شيء ، كما قال تعالى : ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ (١٣٨)﴾ ، [4] وكما قال أيضاً عن شمول منهجه لاهتمامات الإنسان : ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ

(١) الأنعام ١٦٢-١٦٣ .

(٢) مسلم . صحيح مسلم . رقم (٣٥) . ج ١ ، ص ٦٣ .

(٣) المصدر السابق . رقم (١٥٥٢) . ج ٣ ، ص ١١٨٨ .

(٤) البقرة ١٣٨ .

﴿...لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [٨٩] ، [١] وقال سبحانه عن اكتمال المنهج : ﴿... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ ، [٢] وقال رسول الله ﷺ عن وجوب اتباعه ، ونهج طريقته : « ... إياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة ، فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ » ، [٣] وقال عليه الصلاة والسلام في فتنة المسلمين بطرق أهل الكتاب ومناهجهم في آخر الزمان : « لتتبعُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ، قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن » ، [٤] فهذه النصوص وغيرها كثير تدل بوضوح على وجوب الحذر من مسالك أهل الكتاب ، فيما يتعلق بنهج الهداية ، وإصلاح المجتمع ، وضبط الحقوق ، فقد كفى الله المسلمين من هذه

---

(١) النحل ٨٩ .

(٢) المائدة ٣ .

(٣) الترمذي . الجامع الصحيح . رقم (٢٦٧٦) . ج ٥ ، ص ٤٤-٤٥ . (حديث حسن صحيح) .

(٤) البخاري . صحيح البخاري . رقم (٦٨٨٩) . ج ٦ ، ص ٢٦٦٩ .

الجهة ، أما فيما يشترك فيه البشر من العلوم الكونية ، والمعارف العلمية فلا حرج في أخذها عن الآخرين .

ومن هنا فإن أهمية البحث تظهر في أمرين ، الأول : في العرض لتاريخ الثورة الفرنسية ملخصاً بصورة علمية ، مع شيء من التحليل ، والثاني : في نقد بعض مبادئ وآراء الثورة المتعارضة مع الاتجاه الإسلامي .

منهج البحث :

يعالج البحث موضوعاً تاريخياً ، وقعت أحداثه في حقبة زمنية سابقة ، فالمنهج التاريخي [1] هو الأنسب لمعالجة موضوع الدراسة ، من خلال جمع الوقائع ، والأحداث المتعلقة بالثورة الفرنسية من مظانها العلمية ، ثم عرضها بصورة مختصرة ، تتناسب مع طبيعة الدراسة الحالية .

كما يستخدم البحث المنهج الوصفي [2] لوصف واقع الثورة وأحداثها ومقدماتها ، ومن ثمّ تحليل نتائجها في ضوء الوقائع والأحداث التاريخية المستخرجة من مظانها العلمية .

---

(١) انظر : تعريف المنهج التاريخي : فان دالين ، ديوبولد . مناهج البحث في التربية وعلم النفس . ص ٢٧١.

(٢) انظر : تعريف المنهج الوصفي : المرجع السابق . ص ٣١٢.

مصطلحات البحث :

١- الثورة : هي : " تغيُّر مفاجئ وعميق في النواحي السياسية والاجتماعية في بلد ما ، وقد يتم عن طريق العنف أو استخدام القوة الشرعية ، ولا تتبع في أحداثها الوسائل المقررة لذلك في النظام الدستوري للبلاد " ، [١] وفي تعريف آخر : " ظاهرة اجتماعية ذات هدف سياسي ، وظاهرة إيديولوجية (سياسية) ذات هدف اجتماعي ، يتمثل بتغيير المجتمع " ، [٢] وفي تعريف ثالث : " تغيير جوهري في أوضاع المجتمع لا تتبع فيه طرق دستورية " . [٣]

" والفرق بين الثورة وقلب نظام الحكم ، أن الثورة يقوم بها الشعب ، على حين أن قلب نظام الحكم يقوم به بعض رجال الدولة ، وثمة فرق آخر بين الأمرين ، وهو أن هدف الثورة تغيير النظام السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي ، وهدف الانقلاب مجرد إعادة توزيع السلطة

---

(١) بدوي ، أحمد زكي . معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية . ص ٣٥٩.

(٢) ذبيان ، سامي وآخرون . قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ص ١٧٧ .

(٣) صليبا ، جميل . المعجم الفلسفي . ص ٣٨١ .

السياسية بين هيئات الحكم المختلفة " .[1]

وعادة ما يرافق الثورة صور وأحداث من العنف والقتل وسفك الدماء ، وحالات انفعالية شديدة تنزع إلى التغيير والتجديد لكل شيء ، وإقامة البلاد على أسس جديدة ، إضافة إلى أن من طبيعة الثورات عدم القدرة على التنبؤ بحدوثها ؛ لكونها ظاهرة غالباً ما تأتي مفاجئة .[2]

٢- التربية الإسلامية : هي : " إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي ، في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة ، في ضوء المبادئ والقيم ، وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي جاء بها الإسلام " ؛[3] فالتربية الإسلامية بهذا التعريف شاملة لكل جوانب الشخصية الإنسانية : الإيمانية ، والروحية ، والتعبدية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ، والزوجية ، والنفسية ، والعقلية ، والجسمية ، والاقتصادية ، والسياسية ،

---

(١) المرجع السابق . ص ٣٨١ .
انظر أيضاً : الموسوعة العربية الميسرة والموسعة . ج ٣ ، ص ١٢٨٤ .

(٢) ذبيان ، سامي وآخرون . قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ص ١٧٦-١٧٧.

(٣) يالجن ، مقداد . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . ص ٢٦ .

والبيئية ، والفنية ، والجمالية ، والجنسية ، بحيث تدخل مفاهيمها التربوية وتوجيهاتها الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى كل جوانب الشخصية الإنسانية ، فينشأ الإنسان – في ضوئها – نشأة متكاملة شاملة متوازنة ، توفّق بين الدنيا والآخرة ، وبين المادية والروحية ، وبين الفردية والجماعية .

الدراسات السابقة :

لما كانت الثورة الفرنسية ، وما تخللها من أحداث ووقائع ، وما لحقها من تداعيات عسكرية وسياسية في ذمة التاريخ : غلب على طبيعة أبحاثها الوجهة التاريخية ؛ حيث تناولها أكثر ما تناولها الباحثون في الشأن التاريخي ، رغم أن للثورة وجهات فكرية واقتصادية وتربوية واضحة ، و مع ذلك غلب عليها العناية التاريخية ، إلا أن دراستين من بين الدراسات المتعددة – في حد علم الباحث – يمكن أن تصنفا ضمن الوجهة التربوية ، حين تناولتا الثورة الفرنسية من الوجهة الفلسفية ، وهما دراسة برنار غروتويزن (١٤٠٣هـ-١٩٨٢م) بعنوان : " فلسفة الثورة الفرنسية " ، ودراسة أحمد باسل الرفاعي (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) بعنوان :

" حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " ؛ حيث تناولت دراسة غروتويزن الثورة الفرنسية من جهة دراسة آراء واتجاهات فلاسفة القرن الثامن عشر ، ممن كان لهم سبق التأثير في البناء الفكري للثورة وقادتها ، فقد تناول بالدراسة كلاً من ديدرو ، ومونتيسكيو ، وفولتير ، وروسو ، وحاول تلمس آثار أفكار وأطروحات هؤلاء الفلاسفة في بُنى الثورة ومبادئها ، فتناول بالفحص مذهب الحرية في كتاب روح القوانين لمونتيسكيو ، وتأثير ذلك على مبدأ الحرية الذي نادت به الثورة ، وكذلك تناول بالدراسة اتجاهات فولتير العقلية ، وجدله ونقاشه ، وربط ذلك بواقع الثورة ، وتمجيدها للعقل ، ثم تناول روسو وغرائبه الفكرية والسلوكية ، ونظراته التشاؤمية ، ومفهومه للإنسان الطبيعي ، ثم ناقش مجموعة من المفاهيم المؤيدة بآراء هؤلاء الفلاسفة : الحرية ، الحق ، المساواة ، الدستور ، ثم ختم بالجدال حول الحدود الفاصلة بين الحقوق الفردية الخاصة ، والحقوق الجماعية العامة .

وأما دراسة الرفاعي ، فهي أقرب الدراسات السابقة للدراسة الحالية ، حيث تتبنى الوجهة الإسلامية القانونية في

تناول الثورة الفرنسية من جهة إعلانها حقوق الإنسان ، فقد حاول تفكيك آراء الثورة ، وبلوغ جوهرها ، مركّزاً على دعمها المطلق للسيادة الفردية في مقابل سيادة الأمة ، بحيث يفقد القانون حقيقته المستقلة بين هاتين السيادتين المتنافستين ، مما يعطي الحق المطلق لقوة السلطة ، التي تستطيع أن تجيِّر القانون لصالحها ، وتحقيق أهدافها ، وهذا بدوره يدفع الفرد والجماعة معاً إلى الالتحام بطواعية مع السلطة التي تمتلك القوة بحق القانون ، بحيث تتحول هذه السلطة إلى دكتاتور جديد ، يرتكز على إرادة الأمة الطوعية ، وهذا في نظره توجه جديد ، لا نظير له في التاريخ الإنساني السابق .

وأما الدراسات السابقة التاريخية – التي اعتمدت عليها الدراسة الحالية في جانب العرض – فتنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : دراسات تاريخية اختصت بالثورة الفرنسية ، فتناولتها بإسهاب ، شمل الثورة من بدايات ممهداتها ، ثم أحداثها ، وتداعياتها ، وصراعاتها ، إلى أفول قوتها ، وضعف انطلاقتها بعودة الملكية إلى فرنسا ، مثل دراسة : حسن جلال (١٤٣١هـ-٢٠٠٩م) بعنوان : " الثورة الفرنسية " ، ودراسة : وجدا سندسني

(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) بعنوان : " الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر " ، ودراسة لويس عوض (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) بعنوان : " الثورة الفرنسية " ، ودراسة : ألبير سوبول (١٤٠٣هـ-١٩٨٢م) بعنوان : " تاريخ الثورة الفرنسية " ، ودراسة : جورج ليفيير (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م) بعنوان : " عصر الثورة الفرنسية " ، وقد اعتنت الدراسة الحالية بهذه الدراسات في استعراض الجانب التاريخي للثورة ، مع شيء من وثائقها وآرائها ومبادئها ، وتحاليلها للوقائع والأحداث .

القسم الثاني : دراسات تاريخية كثيرة ومتعددة ، انتفعت بها الدراسة الحالية اهتمت بالشأن الأوروبي بصورة عامة ، وأفردت حديثاً خاصاً بفرنسا وثورتها الكبرى ، من أهمها : دراسة : عبدالعزيز سليمان نوار (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) بعنوان : " التاريخ الحديث – أوروبا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية " ، ودراسة : زينب عصمت راشد (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) بعنوان : " تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر " ، ودراسة : عبدالعزيز رمضان (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) بعنوان :

" تاريخ أوروبا والعالم الحديث " ، ودراسة : محمد مورو (د . ت) بعنوان : " تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية إلى الثورة " ، ودراسة : محمد مظفر الأدهمي (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م) بعنوان : " دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث " ، ودراسة : أمين عبدالله محمود (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) بعنوان : " مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى " ، ودراسة : محمد محمد صالح (١٤٠٣هـ-١٩٨٢م) بعنوان : " تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية " ، ودراسة : عبدالحميد البطريق وعبدالعزيز نوار (١٣٩٤هـ-١٩٧٤م) بعنوان : " التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا " ، ودراسة : رولان موسنييه وآخرين (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م) بعنوان : " القرن الثامن عشر – عهد الأنوار " ، ودراسة : هربرت فيشر (١٣٨١هـ-١٩٦١م) بعنوان : " أصول التاريخ الأوروبي الحديث " ، ودراسة : عثمان سلطان (١٣٤٤هـ-١٩٢٥م) بعنوان : " التاريخ السياسي " .

التعليق على الدراسات السابقة :

ورغم تقاطع الدراسة الحالية مع مجموع الدراسات السابقة في موضوع الثورة الفرنسية ، فقد تميزت الدراسة الحالية بأمور :

منها : أنها دراسة ذات أبعاد إسلامية ، تنطلق من الثوابت الشرعية في النظر والتحليل لأحداث الثورة وتداعياتها ، ومبادئها وآرائها .

ومنها : أنها دراسة تربوية ، تراعي الجانب التربوي في التحليل والتقويم لمنجزات الثورة وأفكارها .

ومنها : أنها دراسة نقدية ، تتبنى الوجهة الإسلامية في نقد الوقائع التاريخية للثورة ، وربط بعضها ببعض ؛ لكشف المستور من الحقائق خلف الأحداث والوقائع الظاهرة .

ومنها : أنها دراسة عرْضية شاملة لمجمل ممهدات وأحداث الثورة وتداعياتها ، وأهم أفكارها ومبادئها ، مما يحتاج إليه الباحثون – غير التاريخيين – ملخصاً وموجزاً ، وموثقاً من مصادره العلمية .

ولعل في هذه المميزات الأربع ما يبرر القيام بهذه الدراسة ، ويدفع الباحث للمضي في جمع مادتها العلمية ،

وتحليلها ، وربط بعضها ببعض ، وعرضها من جديد في قالب تربوي إسلامي .

وقد استفادت الدراسة الحالية من مجمل هذه الدراسات في العديد من القضايا المتعلقة بالثورة الفرنسية ، لا سيما في جانبها التاريخي وتسلسل أحداثها ، وتداعياتها السياسية والعسكرية ، حيث اعتمد الباحث في جلّ المادة العلمية على هذه الدراسات ، فالبحث الحالي بطبيعته بحث مكتبي ، يعتمد المراجع والمصادر في جمع مادته العلمية ، ثم تصنيفها وترتيبها حسب فقراته ، ومن ثم تحليلها في ضوء مفاهيم الإسلام ، ووجهته التربوية .

المبحث الأول

ممهدات الثورة الفرنسية

لقد مهَّد للثورة الفرنسية العديد من الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وقدَّم لها جمع من الأحداث والوقائع التاريخية ، التي تفاعلت فيما بينها ، وعملت في مجموعها على نشوب هذه الثورة ، وبلوغها قمة نجاحها ، وتحقيقها لكثير من أهدافها ، ويمكن تقسيم ممهدات الثورة إلى أربعة أنواع على النحو الآتي :

أولاً : الممهدات الاجتماعية للثورة :

توارث المجتمع الفرنسي نظام الطبقات الذي عمَّ أوروبا في ظل الملكيات المستبدة منذ القرون الوسطى ، فالناس منقسمون إلى ثلاث طبقات ، لكل طبقة طبيعتها ، وموقعها من الخارطة الاجتماعية ، وذلك على النحو الآتي :

الطبقة الأولى : طبقة النبلاء الأشراف (الأرستقراطية) ، التي تتراوح نسبتهم ما بين ٥,١٪ ، [١] إلى ٢٪ فقط ، [٢] حيث

---

(١) سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٢٠.

(٢) موسنييه ، رولان وآخران . القرن الثامن عشر – عهد الأنوار . ج ٥ ، ص ٣٩٢.

يتوارثون النبل بالمولد ، ويحافظون على دمائهم نقية من شوائب الأغيار ، [1] فالاختلاف والتمايز يقوم تبعاً لفوارق أصلية بين البشر ، تمنع - في تصورهم - من المساواة بينهم ، [2] وهؤلاء النبلاء - فيما بينهم - متفاوتون في مراتبهم ومنازلهم حسب أنسابهم وأملاكهم ، [3] وهذه طبقة متنفذة متحكمة ، تستمتع بكل الامتيازات ، وتستغل جهود الضعفاء والفلاحين . [4]

الطبقة الثانية : طبقة رجال الدين (الأكليروس) ، يمثلهم القساوسة ، والرهبان ، والقائمون على الكنيسة من أهل الدين ، حيث يستمدون سلطتهم ونفوذهم باسم الله منذ القرون الوسطى ، ويمتلكون مساحات شاسعة من أراضي فرنسا ، ويفرضون ضرائب من إتاوات وعشور على ضعفاء الناس ، [5] ولقد اعتمد نظام الإقطاع على دعم الكنيسة

---

(١) ليفيير ، جورج . عصر الثورة الفرنسية . ص ٤٩.

(٢) عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ٥٩.

(٣) ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٣٦ ، ص ٦.

(٤) نوار ، عبدالعزيز سليمان وعبدالمجيد نعنعي . التاريخ المعاصر . ص ٢٢-٢٤.

(٥) المرجع السابق . ص ٢٢-٢٤.

ورجالها لتبرير المظالم المالية ، كما دعمت الكنيسة النظام الملكي واستبداده ، رغم أنها لم تكن تحبذه في أول الأمر ، فلما قويت الملكية هادنتها ، وتقاسمت معها ومع كل المتنفذين في فرنسا الضرائب المفروضة على عامة الناس ، وانتفعت من وراء كثير من المظالم والاستبداد .[١]

الطبقة الثالثة : طبقة العامة ، وهم الشغالة ، يتألفون من تجار ، وصناع ، وفلاحين ، وعموم العمال (البروليتاريا) ، مضافاً إليهم البرجوازيون ، من مثقفي ومهرة هذه الطبقة الكادحة ، والمعنية بالضرائب والإتاوات ، فعلى كاهلها تنصب مظالم الملوك والطبقتين المتنفذتين من النبلاء ورجال الدين ،[٢] فالمولد والهيئة ، والثروة ، كل ذلك كان له دور في

---

(١) انظر : أ- الأدهمي ، محمد مظفر . دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث . ص ٨ .
ب- صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ٣٨ .
جـ- ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٣٦ ، ص ١٣ .

(٢) انظر : أ- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ٥٩ .
ب- ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٣٦ ، ص ١٨-٣٠ .
جـ- سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٢٠-٣٠.

ترتيب طبقات الناس في أوروبا ،[1] وبناء عليه ينقسم الناس بين هذه الطبقات الثلاث ، ويقوم الملك عليهم جميعاً .

ولقد كان لهذه الطبقات الثلاث تمثيلها في البرلمان الفرنسي ، أو ما يُسمى بمجلس الطبقات الذي يرأسه الملك ،[2] إلا أن طبقة العامة ضعيفة القدرة في المجلس ، وأقل من أن يلتفت إليها ، رغم تشبُّعها بالمثقفين ، والمتعلمين ، ومهرة الصناع ، والتجار ، وهم على الحقيقة يمثلون غالب الشعب ، ومع ذلك كان صوتهم ضعيفاً في مجلس الطبقات ، لا يلتفت إلى مطالبهم ، مما حفَّزهم بقوة للمطالبة بحقوقهم ، ودفعهم نحو العنف والثورة .

ولقد كان للنظام الإقطاعي دوره الخطير في شحن نفوس الضعفاء من أبناء الطبقة العامة ؛ فقد كان الفلاح مرتبطاً بالأرض ، والأرض مرتبطة بصاحبها من النبلاء ، فلا يملك من أمره شيئاً ، فالمالك للأرض يملكها ويملك من عليها من البشر ، ومهمتهم هي أن يؤدي

---

(١) ليفير ، جورج . عصر الثورة الفرنسية . ص ٥٥.

(٢) عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ٤٨.

كل واحد منهم عمله ،[1] بل حتى الأراضي التي يملكها بعض الفلاحين كانت تستباح بما يُسمى حق الصيد ، فقد كان الملك يُقطِع بعض الأمراء والنبلاء أراضيَ وحقولاً للصيد ، فلا يحق لصاحب الأرض أن يمتنع ، بل عليه أن يتركها على حالها ليستمتع النبيل أو الأمير بمتعة الصيد فيها على طبيعتها ،[2] وأقبح من هذا أن يصل الأمر إلى أن يكون من حق النبيل الاستمتاع بفض بكارة بنات الأرقاء التابعين للأرض !![3]

وقد جاءت شريعة الإسلام بالنهي عن كل هذه المظالم ؛ فقد قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ ،[4] وقال

---

(١) رمضان ، عبدالعظيم . تاريخ أوروبا والعالم الحديث . ج ١ ، ص ١٦-١٧.

(٢) جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ٣٧-٣٨.

(٣) عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ٧٩.

(٤) الشورى ٤٢ .

رسول الرحمة ﷺ : « الظلم ظلمات يوم القيامة » ،[1] وقال في شأن اغتصاب الأراضي بغير الحق : « من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً ، طوّقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين » ،[2] وقال في صاحب المكس ، وهو العشّار ، الذي يأخذ العشر من الناس ظلماً :[3] « لا يدخل صاحب مكس الجنة » .[4]

ثانياً : الممهدات السياسية للثورة :

اتسم القرن السابع عشر في أوروبا بالملكيات المستبدة ، التي تستمد سلطتها من الله – حسب زعمهم – فالملك مطلق اليد في : التشريع ، والقرار ، والتصرف ، لا حق لأحد في مراجعته ، فهو صاحب السلطة النافذة بأمر الله تعالى واختياره سبحانه ، ولما حلّ القرن الثامن عشر بحراكه الثقافي والسياسي والاجتماعي ، تغلف استبداد

(١) البخاري . صحيح البخاري . رقم (٢٣١٥) . ج ٢ ، ص ٨٦٤ .
(٢) مسلم . صحيح مسلم . رقم (١٦١٠) . ج ٣ ، ص ١٢٣٠ .
(٣) انظر : ابن منظور . لسان العرب . ج ٤ ، ص ٥٧٠ . (عشر) ، و ج ٦ ، ص ٢٢٠-٢٢١ . (مكس) .
(٤) الحاكم . المستدرك . ج ١ ، ص ٤٠٤ . (حديث صحيح) .

الملوك بشيء من اللطف والاستنارة ، [١] مراعاة لطبيعة عصر التنوير .

ولقد لحق فرنسا النصيب الأوفر من ظلم الملوك واضطهادهم ، إلى جانب ما أحاطوا به أنفسهم من المفاسد الأخلاقية ، والقبائح السلوكية ، والإسراف المالي ؛ فقد سبق الثورة الفرنسية فساد واسع ، وانتشار ذريع للفواحش ، وانحطاط في السلوك ، عم البلاط الملكي والمجتمع الفرنسي ؛ حيث أسرف الملوك في ملذاتهم ، وغرقوا في شهواتهم عبر عقود من حكم الملوك ؛ [٢] فقد تقاسم كل من لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر أكثر من مائة وثلاثين عاماً من الاستبداد والفساد والمظالم ، إضافة إلى الحروب السياسية

---

(١) انظر : أ- نوار ، عبدالعزيز سليمان وعبدالمجيد نعنعي . التاريخ المعاصر . ص ٢٠ .

ب- رمضان ، عبدالعظيم . تاريخ أوروبا والعالم الحديث . ج ١ ، ص ٢٨٤-٢٨٥ .

جـ- سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٦٤-٦٧.

(٢) انظر : ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٣٦ ، ص ٤١-٦١ و ج ٤٢ ، ص ٣١٢-٣٢٠ و ٣٩٨-٤٠٠.

والدينيـة الطاحنـة ،[1] فورَّثـا تركتهمـا - المثقلـة بالمظـالم ، والنكبـات ، والاختناقـات - أضـعف ملـوك البوربـون وهو لويس السـادس عشـر ، الـذي اجتمعـت عليـه العديـد مـن عوامـل الإخفـاق ؛ ففـي شخصـه بالضـعف الـذي انتابـه ، والانشـغال بنفسـه ، وفي زوجتـه وبلاطـه بالفسـاد ، وفي حروبـه بـالهزائم والنكبـات ، إضـافة إلى الإرث التـاريخي السـابق لملـوك أسـرته المحمـل بالمآسـي ، رغـم أنـه لم يكن أسوأ ملوك فرنسا ، بـل قـد يكـون أرقهـم وألطفهـم بالشعب ، وأقلهم فسـاداً ، إلا أنـه كـان أسـوأهم حظـاً ،[2]

---

(١) انظر : أ- صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ٣٢٦ و ٣٤٧ و ٤٣٢ .

ب- سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٦٠ .

جـ- نهرو ، جواهر لال . لمحات من تاريخ العالم . ص ٧٦.

(٢) انظر : أ- الجادرجي ، رؤوف بك . التاريخ السياسي . ص ٣٥-٣٦ .

ب- راشد ، زينب عصمت . تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر . ص ٢٣ .

جـ- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ١٨٩-١٩٠ و ١٩٥ .

د - سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٨٣ .

فقد نُقل عن والده لويس الخامس عشر ، الذي حكم البلاد تسعة وخمسين عاماً أنه قال - مستهتراً بمستقبل فرنسا - : " فليأت بعدي الطوفان " ، [1] فلم يكن يبالي بمصير البلاد بعد أن أخذ حظه الوافر من حكمها ، بما تجاوز نصف قرن من الزمان ، وفي مثل هذا الإهمال يقول رسول الله ﷺ : « ما من أمير يلي أمر المسلمين ، ثم لا يجهد لهم وينصح : إلا لم يدخل معهم الجنة » . [2]

والعجيب أن الكنيسة ورجالها - ممن كانوا يتنادون بأمر الله ، ويزعمون أنهم يعملون في طاعة الله - كانوا ركيزة الملوك في استبدادهم السياسي ، ومظالمهم الاقتصادية والمالية ، يسبغون عليهم شارات التقديس ، ويخلعون عليهم وصف الحق الإلهي ، إضافة إلى تمتعهم بامتيازات النبلاء ، وحيازتهم ساحات واسعة من الأراضي ، وولوغهم

---

(١) نهرو ، جواهر لال . لمحات من تاريخ العالم . ص ٧٦ .

(٢) مسلم . صحيح مسلم . رقم (١٤٢) . ج ١ ، ص ١٢٦ .

في مظالم مالية ضد الشعب ،[1] وهذا – بلا شك – صدٌّ عن سبيل الله ، من فئة كان دورها المفروض أنها تؤدي واجبها الديني ، وتقوم بمسؤوليتها الربانية تجاه الدولة والناس ، وقد كشف القرآن أستار هؤلاء وأمثالهم ممن يتكسَّبون بالدين ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾ .[2]

ثالثاً : الممهدات الثقافية للثورة :

احتل الوعي الثقافي ركناً أساساً ، وجانباً أصيلاً في حشد طاقات الشعب الفكرية ، وشحذ نفوسهم تجاه القيام بالثورة ؛ فقد عملت الثقافة التاريخية ، وما بثَّه فلاسفة عصر التنوير من الوعي الثقافي ، إضافة إلى الثقافة المعرفية التي

---

(١) انظر : أ- رمضان ، عبدالعظيم . تاريخ أوروبا والعالم الحديث . ج ١ ، ص ٣٠٠ .
ب- صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ٤٢٤ .
جـ- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ٦٣.

(٢) التوبة ٣٤ .

حازها البرجوازيون من أبناء الطبقة العامة ، حيث عملت في مجموعها على بناء ثقافة الثوار ، مما أهَّلهم في الجملة إلى معاندة الطبقتين الأخريتين ، ومنازعة الملك ، ويمكن هنا الإشارة إلى دور الثقافة بفروعها المختلفة في التمهيد للثورة الفرنسية ، وذلك على النحو الآتي:

١- الوعي الثقافي بالتاريخ :

لا يزال التاريخ الإنساني وسوف يبقى مورداً لإلهام الشعوب ، وذخيرة فعَّالة لتحريك النفوس ، يستمد منه الضعفاء وقود حركتهم ، فيسعون جاهدين للاقتباس عن الآخرين ، وتكرار تجاربهم ، متطلعين إلى خلاصهم من خلال الانتفاضة العامة ، التي تأتي على الأوضاع السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية من أصولها .

ولئن كان للثقافة الإسلامية وتجربتها الواقعية في السياسة والاقتصاد والاجتماع تأثيرها في الثقافة الأوروبية : [١] فإن الثورة البريطانية عام ١٦٤٩م ، التي عمدت

---

(١) انظر : أ- سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٥٥ و٧٠.

ب- مقدمة في الليبرالية من موسوعة ويكيبديا . ص ١٠.

إلى إعدام الملك شارل الأول ، وإلغاء الحق الإلهي للملـوك ، وما نتج عن هذه الثورة مـن تقييـد سـلطة الملـوك بالبرلمـان ، ضـمن مـا يُسـمى بالملكيـة الدسـتورية ، إضـافة إلى خلـع الأرستقراطية ونظام الإقطاع : كان لها بالغ الأثر في بناء وعي الأمة الفرنسية بحقوقها ، وتكوين تيار ثقافي إصلاحي ، يقوده فلاسفة عهد التنوير في مطلع القرن الثامن عشر .[1]

إلا أن الثـورة الأمريكيـة الـتي تمخضـت عـن إعـلان استقلال المسـتعمرات الأمريكيـة عـن بريطانيـا عـام ١٧٧٦م ، وتبنت جمعاً من بنود حقوق الإنسان : كانت ألصق في طبيعتهـا بالثورة الفرنسية ، وأكثر تعبيراً عن حاجاتهـا ؛ فالصـلة بـين مضامين الحقوق التي تبنتها الثورتان ، وطبيعة المحرك الاقتصادي لهما ، وقرب العهد التاريخي بينهما ، كل ذلك عمل في مجموعه علـى أن تـدخل الثـورة الأمريكيـة - بثقافتهـا ، ومبادئهـا ، واتجاهاتها - ضمن البنى الثقافيـة للثـورة الفرنسـية ، وكـأن

---

(١) انظر : أ- صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ٣٨٨ و ٣٩٨-٣٩٩ .
ب- نهرو ، جواهر لال . لمحات من تاريخ العالم . ص ٦٣ .
جـ- ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٣٥ ، ص ١٦٧-١٦٨.

الثورتين قد خرجتا من رحم اجتماعية واحدة ،[1] لا سيما وأن لفرنسا دوراً بارزاً في دعم الثورة الأمريكية ، وتخليص مستعمراتها من النفوذ البريطاني .[2]

٢- الوعي الثقافي بالحقوق :

لم تنطلق الثورة الفرنسية من فراغ ، وإنما كانت لها جذورها الفكرية والثقافية الضاربة في التاريخ الأوربي القديم ، لا سيما عند فقهاء الرومان ،[3] وجاءت الحركة الفلسفية في عصر التنوير في القرن الثامن عشر مستلهمة الواقع والتاريخ لتخرج من كل ذلك بمفاهيم ونظرات جديدة ، تتعارض مع

---

(١) انظر : أ- حاطوم ، نور الدين . تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا والعالم . ج ١ ، ص ٤٢-٤٥ .
ب- صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ٥٥٣ .
جـ- الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٣١ .
د - كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ١٢٢ .

(٢) انظر : أ- سلطان ، عثمان . التاريخ السياسي . ج ١ ، ص ٦٢-٦٣ .
ب- سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٨٥.

(٣) انظر : الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٤١-٣٤٦ .

الوضع القائم ، وتصادمه في نفوذه وتسلطه ، [1] من خلال إثارة غريزة التفكير المنطقي ، والنقد العقلي للواقع والأحداث ، [2] وإعادة الثقة إلى الإنسان وقدراته العقلية الفائقة ، [3] وحقه الفطري والطبيعي في الحرية بأوسع وأدق معانيها ، [4] فقد انطلق فلاسفة عهد الأنوار في القرن الثامن عشر يدكّون بمعاولهم المنطقية ، وتصريحاتهم النارية أسس وقواعد البنى الفكرية والعقلية التي قامت عليها فلسفة الحياة الأوروبية ، ويتناولون بالنقد الجارح العنيف حصون المجتمع الثقافية ، فلا يتورعون عن النيل من جميع متغيرات المجتمع أياً كانت ، فقد تناولت آراؤهم الفكرية كلّ مفاصل المجتمع الثقافية ، وذهبت تهزُّ الإنسان هزاً من داخله ، وتلفته إلى ذاته وفرديته ، وتنبهه إلى حقوقه المسلوبة ، ومدخراته المكنونة

---

(١) سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٥٤.

(٢) انظر : غروتويزن ، برنار . فلسفة الثورة الفرنسية . ص ٧٩-٨٠.

(٣) الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٣٧.

(٤) انظر : أ- فيشر ، هربرت . أصول التاريخ الأوروبي الحديث . ص ٣٤٢ .
ب- فوللر ، ج . ف . إدارة الحرب . ص ٣٣-٣٤.

المعطلة ، وتنفث فيه روحاً جديدة وثّــابة نحو مستقبل واعد ، وحياة أفضل ، فكانت الريادة الثقافية بصـورة خاصـة لقـادة الفكر الثلاثة في القرن الثامن عشر : روسو ، ومونتيسـكيو ، وفوليتر ، الذين عاشوا عن قرب هموم الإنسان الأوروبـي ، وشربوا من ذات الكأس التي شرب منهـا ، فكـان لهـم بـالغ الأثر في التأسـيس للثـورة الفرنسـية ، [1] حتـى غـدا العقـد الاجتمـاعي لروسـو إنجيـل الثـورة ، [2] وكلمـات فـولتير وعباراتـه سـياطاً تلـهب ظهـور الخـاملين ، [3] فقـد كـان هـؤلاء القـادة إعلامـيين ، أكثـر مـن كـونهم فلاسـفة أو

---

(١) انظـر : أ- نـوار ، عبـدالعزيز سـليمان . التـاريخ الحـديث – أوروبـا منذ الثـورة الفرنسـية حتـى الحـرب الفرنسـية البروسـية . ص ٢٩-٣٥ .

ب- ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٣٥٢-٣٩١ .

جـ- غروتويزن ، برنار . فلسـفة الثـورة الفرنسـية . ص ١١٤-١١٥ .

(٢) انظـر : أ- فيشـر ، هربـرت . أصـول التـاريخ الأوروبـي الحـديث . ص ٣٤٤-٣٤٥ .

ب- غروتويزن ، برنار . فلسفة الثورة الفرنسية . ص ١١٤ .

(٣) انظر : المرجع السابق . ص ٦٩-٧٢ و ٨٦.

باحثين أكاديميين ،[1] فقد بلغت نداءاتهم أصقاع أوروبا ، تُعد النفوس لعهد أوروبي جديد ؛ فقد تنبأ فولتير بمثل هذا فقال : " إن العقول تستنير من أقصى أوروبا إلى أقصاها " ،[2] وكأنه يبشر بثورة عارمة تهز أوروبا ، وتوقظها من سباتها ، مهددة ملوك الاستبداد ، وأنظمتهم البالية .

وهكذا تكون الوعي الثقافي بالحقوق في أوروبا عموماً ، وفي فرنسا على وجه الخصوص ، فبدأ الحراك الواقعي والميداني على إثر الحراك الفكري والثقافي ، ينهض بالطبقة البرجوازية ، ومن وراءها من عامة الشعب للمطالبة بالحقوق ، وتقديم كل ما أمكن في سبيل البلوغ بالحقوق إلى أرض الواقع .

٣- الوعي الثقافي بالمعرفة :

تشير المصادر المتعددة أن المادة الرئيسة ؛ القائمة والمحركة للثورتين البريطانية والأمريكية هي الطبقة البرجوازية ، وهي أيضاً مادة الثورة الفرنسية ، وعاملها

---

(١) صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ٥٨٢.

(٢) غروتويزن ، برنار . فلسفة الثورة الفرنسية . ص ٦٨.

الأساس ،[1] الذي تولى كبر هذا المشروع الإنساني الكبير ، الذي أعاد ترتيب فرنسا في جزئياتها الدقيقة فضلاً عن كلياتها الكبرى ، ورام أن يصل بمشروعه الثوري إلى أقصى حدود الإنسان الجغرافية .

لقد ولدت الطبقة البرجوازية من طبقة العامة الشغالة ؛ فقد كان أحدهم - بعد عناء كبير - يشتري نفسه من النبيل ، فينعتق منه بموجب صك مسجل ، فيعمل لنفسه ويجتهد ، فتحصنت هذه الطبقة بالمعرفة العلمية ، وأتقنت المهارات التجارية والصناعية ، بعد أن كانت محصورة في الزراعة ، وسيطرت على كثير من المناشط الاقتصادية ، التي مكنتها من أن ترفع رأسها للمطالبة بحقوقها ، باعتبارها جزءاً أصيلاً من القوى المحركة في البلاد .[2]

---

(١) انظر : أ- صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ٤٢٩ .

ب- ليفيير ، جورج . عصر الثورة الفرنسية . (مقدمة المترجم) .

(٢) انظر : أ- رمضان ، عبدالعظيم . تاريخ أوروبا والعالم الحديث . ج ١ ، ص ٣٠٤ .

ب- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ٦٠ و٦٥.

ويُعد ظهور الطبقة البرجوازية ، وتمكنها العلمي والاقتصادي من أهم ملامح الحياة الاقتصادية الفرنسية في القرن الثامن عشر ، [1] ومع ذلك فقد كان الاتجاه العام يسير نحو إقصاء هذه الطبقة عن مواطن التأثير السياسي ، [2] ولهذا عملت الصالونات الاجتماعية والثقافية على توعية هذه الطبقة بحقوقها ومكانتها ، إلا أن الطبقة الأرستقراطية – بما تتمتع به من النفوذ والسلطة – عملت هي الأخرى على إبعاد هذه الطبقة النشطة المثقفة العاملة عن مواطن اتخاذ القرار ، وربما تعاملت معها بوقاحة وصلف ، [3] مما كان له الأثر الكبير في إثارة النفوس لكرامتها وحقوقها .

هذه الشعب الثلاث بالوعي الثقافي : التاريخي ، والحقوقي ، والمعرفي : كان لها أبلغ الأثر في التمهيد لثورة فرنسية عارمة ، لا تبقي قديماً على حاله حتى تغيِّره وفق ما يحقق مصلحة الطبقة البرجوازية المضطهدة ، ويعلي من شأنها .

---

(١) ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٤٤٩-٤٥٠.

(٢) فيشر ، هربرت . أصول التاريخ الأوروبي الحديث . ص ٣٤٨.

(٣) ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٤٠٢-٤٠٧ و٤٥٣.

رابعاً : الممهدات الاقتصادية للثورة :

يكاد يكون الوضع الاقتصادي الفرنسي إبّان الثورة أهم ما تتحدث عنه المصادر التاريخية ، وأهم الأسباب التي تعوّل عليها في اندلاع أحداث الثورة ؛ فقد عمّ فرنسا فساد مالي واسع ، ومظالم اقتصادية كبيرة ، ونفوذ أرعن من طبقة النبلاء ورجال الدين ، عملت في مجموعها على إثارة حنق الطبقة العامة ، ولا سيما الفلاحين ، وعموم المستضعفين المعنيين بدفع الضرائب ، وتحمل المكوس والإتاوات الظالمة ، [1] مما نتج عنه تحول قطاعات كبيرة من السكان إلى الفقر المدقع ، الذي دفع بعضهم إلى امتهان الشحاذة ؛ فقد افتتح عهد لويس السادس عشر بموجات من الجوع العام استمرت سنوات ، حولت كثيراً من البسطاء والفلاحين إلى متسولين ، [2] وقد سبق

---

(١) انظر : أ- حاطوم ، نور الدين . تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا والعالم . ج ١ ، ص ٤٧ و٥٤ .
ب- جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ٤٢-٤٣ .
جـ- ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٤٣٧-٤٤٤ .
د - سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٨٢ .

(٢) انظر : أ- نهرو ، جواهر لال . لمحات من تاريخ العالم . ص ٧٨ .
ب- ليفيير ، جورج . عصر الثورة الفرنسية . ص ٨٢ .

الثورة سنتان من البرد الشديد والصقيع المهلك ، الذي أهلك قطاعاً كبيراً من المحاصيل الزراعية ، ووضع الطبقة العامة بصورة عامة ، والفلاحين بصورة خاصة في حرج شديد ، وضيق خانق .[1]

ولم يكن لدى لويس السادس عشر القدر الكافي من الحنكة السياسية ، وبعد النظر ، ولم تتوافر عنده البطانة الناصحة ، الأمر الذي أضعف من سداد قراراته السياسية ، فقد خاض حروباً خاسرة ، وتبنى الثورة الأمريكية بالدعم والمساعدة ، إضافة إلى ما تحمَّله من تاريخ الهزائم والإخفاقات السابقة لعهده ، مما أضعف – في مجموعه – ميزانية البلاد ، وأقعدها عن تحمل مسؤوليات النفقات العامة ، وأدخلها في أزمات مالية مهلكة ،[2] ضاقت فيها السبل على الناس في معاشهم وحركتهم ، حتى أصبحت مدينة باريس لا تصلح

---

(١) حاطوم ، نور الدين . تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا والعالم . ج ١ ، ص ٧٣ .

(٢) انظر : أ – نهرو ، جواهر لال . لمحات من تاريخ العالم . ص ٧٧ .
ب – سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٨٥ .
جـ – فيشر ، هربرت . أصول التاريخ الأوروبي الحديث . ص ٣٩٧ .

للعيش لازدحامها ، وضيق طرقها ، وقذارة شوارعها ، والعجيب أنه في ظل هذه الظروف الاقتصادية والمالية القاسية يحيا الملك ، وحاشيته ، والنبلاء في بحبوحة من العيش ، بل في بذخ وترف وإسراف ، لا يتناسب مع وضع البلاد الاقتصادي المتدهور ،[1] ولم يكن الشارع العام - المنهك بالجوع والضرائب - غافلاً عما يجري في قصور المترفين من التبذير والإسراف ، وإنما كان يتهيأ ، ويشحذ طاقاته ليوم الانتفاضة العامة الكبرى .

وما يُنقل من الحديث عن انتعاش اقتصادي ، وشيء من الازدهار في القرن الثامن عشر ، فقد كان انتعاشاً وازدهاراً طبقياً في غالبه ، انتفعت به الطبقة الغنية المترفة ، أما الطبقة العامة الكادحة فلم تنتفع من هذا الانتعاش إلا أن يكون البرجوازيون منهم ؛ فقد توسع عددهم ، وتحسنت مدخولاتهم المالية ، وقويت مكانتهم الاجتماعية ،[2] وقد ساعد على ذلك ظهور الآلة البخارية في النصف الثاني من

---

(١) جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ٣٨-٤١ .

(٢) موسنييه ، رولان وآخران . القرن الثامن عشر - عهد الأنوار . ج ٥ ، ص ٣٨٤-٣٨٦ و ٤٠١.

القرن الثامن عشر ، التي اعتبرها بعضهم مسيحاً جديداً ، مما هيأ للثورة الصناعية ، وفتحت أمام الإنسان مجالات اقتصادية أرحب ، [1] تقدّمت على إثرها الرأسمالية ، وتمكّنت من تغيير وجهة النشاط الاقتصادي نحو الحرية والانطلاق والانفتاح ، الذي يتعارض مع طبيعة ضيق النظام الإقطاعي السائد ، [2] الذي يحد من الحركة الاقتصادية ، ويُقيِّد انطلاقتها ، مما مهّد لزوال هذه المرحلة وأفولها ، والتبشير بعهد جديد .

لقد عملت هذه الممهدات الأربعة : الاجتماعية ، والسياسية ، والثقافية ، والاقتصادية على إبراز الطبقة البرجوازية ، والتمكين لها ، وإعدادها من خلال : المعاناة ، والتجارب ، والمعرفة للقيام بأدوار جديدة ، ومهمات كبيرة لم يسبق لها خوض أمثالها ؛ فقد اضطلعت الطبقة البرجوازية الفرنسية بمهام قيادة الثورة ، وإدارة الجماهير ، ومقارعة السلاطين ، وسن القوانين ، وخوض الحروب ، إضافة إلى

---

(١) فوللر ، ج . ف . إدارة الحرب . ص ١١٩-١٢٠.

(٢) سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ١٣.

مواجهة انقساماتها الداخلية ، ضمن أحزاب متعارضة ومتنافسة ، إلى غيرها من القضايا الكثيرة : السياسية ، والاقتصادية ، والإدارية ، التي عملت في مجموعها على صقل هذه الطبقة ، وتأهيلها لقيادة مستقبل فرنسا الجديد .

المبحث الثاني

أحداث الثورة الفرنسية وتداعياتها

تضم أحداث الثورة وتداعياتها المحلية والعالمية الفترة التاريخية التي بدأت بانطلاق الثورة ، وسقوط الباستيل عام ١٧٨٩م ، ثم إعلان الجمهورية ، وتصفيات عهد الإرهاب ، حتى عودة الملكية إلى فرنسا من جديد بسقوط نابليون بونابرت عام ١٨١٤م ، ويمكن تلخيص هذه الأحداث التاريخية المثيرة ورصدها في الفقرات الآتية :

أولاً : بداية انطلاق الثورة :

دفعت الأزمة المالية الخانقة – قبيل الثورة ببضع سنوات – الطبقة الأرستقراطية للمطالبة بمزيد حقوق وامتيازات ، مما فقدته في العهدين السابقين ، [١] مستغلة في ذلك وضع البلد الاقتصادي المتدهور ، وضعف شخصية الملك لويس السادس عشر ، مما مهّد للطبقة البرجوازية أن

---

(١) أ – ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٣٩٠-٣٩١ .
ب– ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ١١١.

تطالب هي الأخرى بأصول حقوقها المسلوبة من أول الدهر ، فكانت الانطلاقة الأولى لشرارة الثورة في مجلس الطبقات في يوم ٤/ ٥/ ١٧٨٩م على إثر مناقشة حادة ، طالبت فيها الطبقة العامة إسقاط الضرائب بدعوى عدم شرعيتها ، مما أثار غضب الملك والنبلاء ، حتى أخرجوا ممثلي الطبقة العامة من قاعة المجلس رغماً عنهم ، فاعتصموا بملعب لكرة التنس بجوار القاعة ، وتقاسموا ألا يبرحوا المكان إلا بعد وضع الدستور ، وعُرف هذا القسم بقسم الملعب ، وحاول الملك مرة أخرى طردهم من موضع اعتصامهم في الملعب باستخدام الجيش ، إلا أن الجيش أبى التدخل ، وهنا كانت بداية التحول لصالح الطبقة العامة بقيادة البرجوازيين . [(١)]

وعلى إثر هذا الاعتصام ، وما تلاه من القسم والعزيمة على التغيير : تأسست الجمعية الوطنية ، باعتبارها أول تجمع سياسي منظم للثورة الفرنسية ، حيث أعلنت الجمعية أنها

---

(١) أ- رمضان ، عبدالعظيم . تاريخ أوروبا والعالم الحديث . ج ١ ، ص ٣٢٩-٣٣٠ .

ب- نهرو ، جواهر لال . لمحات من تاريخ العالم . ص ٧٩ .

الأمة ، فضمت إليها جميع الطبقات الثلاث لتصهرهم في طبقة واحدة ، وتكوّن منهم مجلس الأمة ، حيث سيطر البرجوازيون على الجمعية ، ولم يكونوا يرمون في أول الأمر لأكثر من ضبط تصرفات الملك وحاشيته ، ودفع المظالم عنهم ، وقد حاول الملك عبثاً أن يعدل شيئاً من شكل المجلس لصالح الأرستقراطية ، إلا أن الجمعية رفضت ذلك .[1]

ثم تتابعت أحداث الثورة ، متشربة بثقافة عصر التنوير ، الذي هيأ أوروبا للقبول بالجديد ،[2] وظهرت على الساحة

---

(١) انظر: أ- نوار ، عبدالعزيز سليمان وعبدالمجيد نعنعي . التاريخ المعاصر . ص ٣٨ .

ب- رمضان ، عبدالعظيم . تاريخ أوروبا والعالم الحديث . ج ١ ، ص ٣٥٢ .

جـ- الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٣٨-٣٣٩ .

د - عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ٤٩ و ٥٥-٥٧ .

هـ- غروتويزن ، برنار . فلسفة الثورة الفرنسية . ص ٢١٨ .

(٢) الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٣٧.

السياسية الفرنسية وجوهٌ وقيادات جديدة ، من أمثال : لافاييت ، وميرابو ، وسييز ، ونحوهم ممن قادوا الثورة ، وأسهموا في وضع الدستور الجديد .[1]

ثم خاض الشعب الفرنسي بقياداته الجديدة معترك الحياة السياسية وتداعياتها المثيرة ، فاعلاً ومتفاعلاً معها بروح وثّابة ، وعطاء كبير ، لا يعرف اليأس ولا الملل .

ثانياً : سقوط سجن الباستيل :

قلعة الباستيل عبارة عن حصن كبير محاط بخندق من ماء ، بُنِيَ في شرق باريس عام ١٣٩٠م بغرض حماية فرنسا من أعدائها ، ثم اتخذ بعد ذلك سجناً ، مورست فيه مظالم واضطهادات ومآسٍ ، فاتخذ يوم فتحه في ١٤ يوليو ١٧٨٩م عيداً للثورة الفرنسية .[2]

ولقد سبقت سقوط الباستيل أحداث دامية ، استمرت أياماً بين الثوار المتظاهرين في شوارع باريس ، وبين الحرس

---

(١) انظر : أ- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ٩٩ .

ب- ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ١٦٠-١٦١ .

(٢) عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص المقدمة و ١١ و ١٨ و ٨٥ .

الفرنسي ، استطاع فيها المتظاهرون أن يتصدوا للجنود ، بعد أن حصلوا على كميات كبيرة من السلاح والذخائر ، مما مكنهم من الزحف إلى الباستيل ومحاصرته ، والانتصار على حاميته ، ومن ثمّ السيطرة على باريس ، وبعض المدن المجاورة ، [1] مما اضطر الملك إلى الذهاب بنفسه إلى الجمعية الوطنية لإعلان انسحاب الجيش من المواجهات ، وطلبه من النواب تأمين سلامة الدولة . [2]

ويعتبر سقوط الباستيل رمز الثورة الفرنسية ، ونقطة التحول الكبرى في الحياة السياسية والاقتصادية والدينية في فرنسا ، وهو تاج انتصار تتوجت به الثورة في بداية انطلاقها ، فكان زادها نحو مستقبل مليء بالصراعات ، ومحفوف بالأعداء المتربصين بالثورة في الداخل والخارج .

---

(١) انظر : أ- جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ٩٥-٩٧ .
ب- راشد ، زينب عصمت . تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر . ص ٤٨ .
جـ- ليفير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ١٤٤-١٤٨.

(٢) رمضان ، عبدالعظيم . تاريخ أوروبا والعالم الحديث . ج ١ ، ص ٣٥٠.

ثالثاً : الفوضى العارمة :

لم يكن سقوط الباستيل نهاية أزمات الثورة ، بل هو في الحقيقة بداية أزماتها ومحنها الكبرى ؛ فقد انهارت النظم السياسية ، والمؤسسات الاجتماعية في الأشهر الأولى من الثورة ، [1] وامتنع الناس عن دفع الضرائب ؛ مما أدّى إلى إفلاس خزينة الدولة ، [2] وانطلقت الطبقة الكادحة من فقراء المدن والأرياف (البروليتاريا) لتتحكم في الشارع الفرنسي ، وتنبري بنفسها لحل مشكلاتها ، [3] فقد كان سقوط الباستيل نقطة انطلاقها للتمرد على النظام الإقطاعي البائد ، فعمت البلاد أعمال نهب وسلب وشغب ، طالت المراكز والمكاتب والقصور والبيوت ،

---

(١) موسنييه ، رولان وآخران . القرن الثامن عشر – عهد الأنوار . ج ٥ ، ص ٤١٥ .

(٢) عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ١٢٩ .

(٣) أ- رمضان ، عبدالعظيم . تاريخ أوروبا والعالم الحديث . ج ١ ، ص ٣٤٥-٣٥١ .

ب- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ٨ .

فغرقت البلاد في فوضى عارمة ،[1] وضعت قادة الثورة البرجوازيين على محك صعب ؛ فهم الطبقة الوسطى التي قادت الثورة ووجهتها ، ونفخت في روعها وأشعلتها ، ممثلة في الجمعية الوطنية ، فكان لزاماً عليها أن تضع حداً لأعمال التخريب والتدمير والفوضى التي عمت البلاد ،[2] إلا أن تداعيات الثورة ، وأزماتها المؤلمة ، وصراعاتها العنيفة استمرت حتى عام ١٧٩٥م ، حين أعلن نابليون بونابرت نهاية تداعيات الثورة .[3]

---

(١) انظر : أ- نوار ، عبدالعزيز سليمان وعبدالمجيد نعنعي . التاريخ المعاصر . ص ٣٤ .
ب- جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ١٠٥ .
جـ- موسنييه ، رولان وآخران . القرن الثامن عشر - عهد الأنوار . ج ٥ ، ص ٤١٢ .
د- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ١٠٧ .
هـ- سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ١٢٨-١٢٩ .
و- ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ١٧١ .

(٢) أ- جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ١٠٧ .
ب- ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٤٤٤ .

(٣) سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٥٩٤ .

والعجيب في شأن قادة الثورة : أنه رغم وضعهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي الحرج ، والفوضى التي تعم بلادهم : يعلنون من وقت لآخر فكرة تصدير الثورة ، ليس فقط لدول أوروبا المجاورة ، بل إلى الدولة العثمانية أيضاً في الشرق الإسلامي !![1].

رابعاً : الخضوع الملكي للإرادة الشعبية :

تحت الضغوط الشعبية المتنامية ، والفوضى العارمة التي عمت فرنسا : اضطر الملك لويس السادس عشر إلى تقديم بعض التنازلات المالية لصالح الشعب ،[2] إلا أنها لم تكن كافية للحد من النقمة الشعبية التي تتوّجت بمظاهرة كبيرة عامة ، قادها جمع من النساء الثائرات ، انتهت باقتحام قصر الملك في فرساي بعد اصطدامات دامية ، فسيق الملك وعائلته - رغماً عنهم - في موكب ذليل إلى باريس ، ومن ثمَّ أرغم على التوقيع على وثيقة حقوق الإنسان ، التي تُعد الأصل

(١) سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٨٧ .

(٢) نوار ، عبدالعزيز سليمان وعبدالمجيد نعنعي . التاريخ المعاصر . ص ٣٥.

لدستور البلاد الجديد ، الذي يجرده وحاشيته والكبراء من الانفراد بالسلطة والامتيازات ، ويضع كل ذلك في يد الشعب (الأمة) ، ممثلاً في جمعيته الوطنية ، التي استطاعت أن تعبِّر عن نفسها وتطلعاتها بقوة من خلال بنود الدستور الجديد ، الذي يُعبِّر هو بدوره عن ملامح وتوجهات عصر التنوير ، وآراء فلاسفته في : الحرية ، والمساواة ، وسيادة الأمة ، وفصل السُّلطات .[1]

خامساً : إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية :

استهلكت دراسة ومناقشة وضع الملك الجديد في ظل الثورة ودستورها جزءاً كبيراً من فكر وجهد الجمعية الوطنية ، فيما يتعلق بحدود وطبيعة سلطته ، وقد بلغ

(١) انظر : أ- رمضان ، عبدالعظيم . تاريخ أوروبا والعالم الحديث . ج ١ ، ص ٣٥٤-٣٥٦ .

ب- جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ١١٩-١٢٣ .

جـ- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ١١١-١١٧ و ١٢٠ .

د- نهرو ، جواهر لال . لمحات من تاريخ العالم . ص ٨٤ .

الصراع الفكري والنزاع السياسي ذروته بين الأحزاب المتنازعة ، لا سيما من ممثلي اليعاقبة والجيروند ، ومع ذلك لم يكن مقترح إلغاء الملكية موضوعاً للنقاش في هذه المرحلة الأولى من عمر الثورة ؛ وإنما المطروح للتداول هو محاولة أقلمة النظام الملكي في ظل مبادئ الثورة ودستورها الجديد ،[1] إلا أن قرار هروب الملك إلى خارج البلاد ، ومحاولته الانضمام إلى جحافل النبلاء المهاجرين في دول الجوار : حسم الخلاف حول وضع الملك ، ودفع الجميع - بما فيهم المتعاطفون مع الملكية - نحو إلغاء النظام الملكي ، وإعلان الجمهورية الفرنسية ، الذي تم عام ١٧٩٢م لأول

---

(١) انظر : أ- سلطان ، عثمان . التاريخ السياسي . ج ١ ، ص ١٦٣ .
ب- رمضان ، عبدالعظيم . تاريخ أوروبا والعالم الحديث . ج ١ ، ص ٣٥٥ و٣٧٢-٣٨٢ .
جـ- غروتويزن ، برنار . فلسفة الثورة الفرنسية . ص ١٨١-١٨٨ .
د- سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ١٥٤-١٥٦ .

مـرة في فرنسـا علـى الخصـوص ، وفي أوروبـا علـى العموم .[1]

ولقد كان للزعيم ميرابو الدور الكبير في كفّ الملك عن اتخاذ قرار الخروج من فرنسا ، إلا أن وفاته أرغمت الملك للانصياع لضغط زوجته والأشراف لاتخاذ القرار الخاطئ ، الذي انتهى باتهامه بالخيانة الكبرى .[2]

وقد حاولت الجمعية الوطنية عبثاً إخفاء خبر هـروب الملك ، أو على الأقل محاولة احتوائه بصـورة مـا ، رغبـة في تسكين الشارع الفرنسي الملتهـب ، إلا أن خـبر هروبـه كـان أسرع إلى الناس منه إلى بعض أعضاء الجمعية المتعاطفين مـع

---

(١) انظر : أ- نوار ، عبدالعزيز سليمان وعبدالمجيد نعنعي . التاريخ المعاصر . ص ٤٠-٤١ .
ب- سلطان ، عثمان . التاريخ السياسي . ج ١ ، ص ٢٣١-٢٣٢ .
جـ- راشد ، زينب عصمت . تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر . ص ٣٧ .
د - نهرو ، جواهر لال . لمحات من تاريخ العالم . ص ٨٦ .
هـ- ليفير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ٢٠١ .

(٢) جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ١٢٦-١٢٧ .

الملكية ، مما دفع الجمعية لحسم الموضوع ، وإيداع الملك وأسرته في سجن التامبل .[(١)]

وقد كشفت التحقيقات فيما بعد أن الملك لويس السادس عشر قد تورط في مؤامرة ضد الثورة مع بعض دول الجوار والنبلاء اللاجئين إليها ،[(٢)] مما أكّد قناعة الشعب في أن نجاح خطة هروب الملك إلى الخارج ، يعقبه غزو وشيك لفرنسا ، مما دفع قادة الثورة إلى إعلان حالة الطوارئ في البلاد ،[(٣)] والتأكيد على ضرورة محاكمة الملك بتهمة الخيانة العظمى ، وبالفعل صوت النواب في الجمعية على إعدام الملك لويس السادس عشر ، ونُفّذ الحكم في ٢١ يناير ١٧٩٣م ، ثم لحقته زوجته بعد ذلك بأشهر بنفس التهمة ، مما كان له بالغ الأثر في إثارة ملوك أوروبا ضد فرنسا ، ورجال الثورة فيها .[(٤)]

---

(١) عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ١٣٩-١٤٠ و ١٥٢ .

(٢) البطريق ، عبدالحميد وعبدالعزيز نوار . التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . ص ٣٨٦ .

(٣) ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ٢٣٥ .

(٤) عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ١٥٧-١٥٨ .

سادساً : أعداء الثورة :

لقد استطاعت الثورة في فترة وجيزة جداً أن تكون لها أعداء في كل مكان ، ليس في أوروبا فقط ، بل حتى في العالم الإسلامي ؛ ممثلاً في الدولة العثمانية ؛ [1] فقد اجتمعت ثلاث قوى رئيسة لإجهاض الثورة : ملوك أوروبا ، الذين هددتهم الثورة في عروشهم ، والمهاجرون النبلاء ، الذين حرمتهم الثورة امتيازاتهم وإقطاعاتهم ، ورجال الدين الكاثوليك والبابا ، الذين أعرضت عنهم الثورة بعلمانيتها . [2]

ولقد كان الحنق الخارجي على الثورة ورجالها شديداً ، مما سوّغ للملك محاولة إثارة بعض دول الجوار لحرب فرنسا ، حتى يكفَّ الثوار عنه ، لا سيما بعد محاولته الهروب ، وذلك بالتعاون مع المهاجرين النبلاء ، الذين خرجوا من فرنسا في وقت مبكر ، لما ضعفت شخصية الملك عن مقاومة تنامي الثورة ، وبالفعل فقد هددت بعض الدول الأوروبية المجاورة

---

(١) سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٨٠ .

(٢) البطريق ، عبدالحميد وعبدالعزيز نوار . التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . ص ٣٩٠ .

بالتدخل لنصرة الملك ، وإنقاذ الملكية من السقوط .[1]

ولقد كان إعدام الملك مسوِّغاً كافياً لتحالف بعض دول أوروبا لحرب فرنسا ، ومحاولة إيقاف الثورة العارمة عند حدها ، وإنقاذ الحضارة الأوروبية وثقافتها النصرانية من الانهيار ، إلا أن حماسة الفرنسيين ، وإيمانهم العميق بثورتهم ، وعدالة مطالبهم من جهة ، وسوء مقاصد الحلفاء ، وفساد تنظيمهم العسكري من جهة أخرى : أدت في مجموعها إلى إخفاق وتراجع الحلفاء ، في مقابل صمود وتقدم الثوار ، مما حفَّز قادة فرنسا الجدد إلى اتخاذ وضع الهجوم بدلاً من الدفاع ، فحققوا انتصارات كبيرة في طرد المحتلين ، واحتلال أجزاء من : بلجيكا ، والراين ، وجبال الألب ، وبحر المانش ، مما كان له بالغ الأثر في رفع معنويات رجال الثورة ، وعرض خدماتهم على الشعوب المستضعفة لخلاصها ، وإعادة تجديد فكرة تصدير الثورة ، فحدود فرنسا - في نظرهم - هي الحدود

---

(١) أ- نوار ، عبدالعزيز سليمان وعبدالمجيد نعنعي . التاريخ المعاصر . ص ٤٠-٤١ .

ب- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ٥٨ و ١٢٤ و ١٥٠ .

الجغرافية الطبيعية !! [1]

سابعاً : عهد الإرهاب :

رغم المثالية التي حاول أن يظهر بها قادة الثورة ، وتواضعهم وزهدهم في الألقاب والشارات ، [2] ومناداتهم بالعدالة والمساواة والحرية ، إلا أن النزاع العنيف فيما بينهم في الاتجاهات السياسية ، الذي أدّى إلى صراع محموم على السلطة الحكومية : كان هو الغالب في الحياة السياسية بعد سقوط الملكية وإعلان الجمهورية ؛ فقد تأسست بعد اندلاع الثورة أحزاب وجمعيات وجماعات ، تمثل من وراءها من الاتجاهات السياسية المعتدلة والمتطرفة ، فقد كان الدور

---

(١) أ- نوار ، عبدالعزيز سليمان وعبدالمجيد نعنعي . التاريخ المعاصر . ص ٥٨ .

ب- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ١٧٦-١٧٧ .

جـ- ليفيبر ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ٣٢٧-٣٢٩ .

(٢) انظر : سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٨٢ .

الأكبر في النزاع السياسي بين حزبي اليعاقبة المتطرفين ، والجيروند المعتدلين .[1]

ولما كانت العقلية الثورية مرتبطة بالرغبة في التشفي والعقاب : انطلقت لجنة الأمن العام بقيادة رئيسها الأول : روبسبير في أعمال تصفيات جسدية جماعية ، طالت كل من لديه شبهة في دعم الأرستقراطية ، أو تراخ في دعم الثورة ومبادئها ، فلحق العقاب كثيراً من الأشراف والنبلاء والفضلاء ، حتى وصلت المقصلة إلى العديد من رجال الثورة وروادها أنفسهم ، فكانت مجرد التهمة بالخيانة كافية لجرٍّ أخلص الرجال إلى ساحة الإعدام ، فلم يكن لأحد حصانة مطلقة تعصمه من حدِّ المقصلة ، حتى إن روبسبير نفسه كان ضحية تهمة ساقته للإعدام ، بعد أن فتك بمخالفيه ، ومن وصفهم بأعداء الثورة طوال عام كامل ما بين عاميْ ١٧٩٣م-١٧٩٤م ، فلا يكاد يمضي يوم واحد

---

(١) أ- جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ١٢٤ .
ب- نهرو ، جواهر لال . لمحات من تاريخ العالم . ص ٨٢ .

إلا ويعرض فيه رجال على المقصلة ، [1] حتى تعارف المؤرخون على تسمية هذه المرحلة بعهد الإرهاب ، فلم تخرج الثورة الفرنسية عن طبيعة الثورات الإنسانية السابقة حين تنجح ، فتتوجه قيادات الثورة مباشرة لإنهاء حساباتها الداخلية ، وتصفية بعضهم بعضاً .

ثامناً : نابليون بونابرت :

ظهرت حكومة الإدارة بعد عهد الإرهاب ، كالمخلص

---

(١) انظر : أ- نوار ، عبدالعزيز سليمان وعبدالمجيد نعنعي . التاريخ المعاصر . ص ٦٣-٦٤ .

ب- صلواتي ، ياسين . الموسوعة العربية الميسرة والموسعة . ج ٤ ، ص ١٥٥٤ .

جـ- جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ٢١٣ .

د- سلطان ، عثمان . التاريخ السياسي . ج ١ ، ص ٢٦٣-٢٦٧ .

هـ- راشد ، زينب عصمت . تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر . ص ١١٤-١٢١ .

و- ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ٢٨٣-٢٨٤ و ٤٠٠-٤٠٣ .

من بطش اليعاقبة وروبسبير ، رغم أنها حكومة دكتاتورية إمبراطورية ، [1] مُلئت فترة حكمها بالفساد الإداري والمالي ، إضافة إلى الكوارث والحروب ، فقد تكونت من خمسة مدراء ، كان من بينهم القائد العسكري الشهير نابليون بونابرت ، حيث حكمت البلاد خلال الفترة من ١٧٩٥م إلى ١٧٩٩م ، ثم أعقبها حكومة القنصلية من ١٧٩٩م إلى ١٨٠٤م ، التي رأسها ثلاثة ، كان بونابرت على رأسهم ، ثم عين عام ١٨٠٢م قنصلاً مدى حياته ، ثم اتخذ إمبراطوراً لفرنسا عام ١٨٠٤م . [2]

ويعتبر نابليون بونابرت واحداً من عباقرة العالم في العديد من المجالات السياسية والإدارية والعسكرية ، إلا أن الجانب العسكري طغى على طبيعته الشخصية ، حيث سطع نجمه ، وبرز مكانه في الساحة الفرنسية بعد العديد من الانتصارات العسكرية

---

(١) البطريق ، عبدالحميد وعبدالعزيز نوار . التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . ص ٤٢٩.

(٢) صلواتي ، ياسين . الموسوعة العربية الميسرة والموسعة . ج ٤ ، ص ١٥٥٥ و ج ٦ ، ص ٢٧٤٧ .

الميدانية التي تحققت على يديه ، إضافة إلى شجاعته وإقدامه ، مما أهّله للانفراد بالقيادة ؛ فإن فرنسا كانت في حاجة ملحة إلى قائد فذٍّ ، يقودها نحو الاستقرار والهدوء ، بعد سنوات من الصراعات والبؤس ؛ [1] فقد انتقل الشعب الفرنسي - بعد الثورة - من ظلم الملوك والنبلاء إلى ظلم الأحزاب والزعماء .

ولقد كان من حنكة بونابرت - حين شاهد رجال الثورة يأكل بعضهم بعضاً - أن توجه بصراعاتهم ومنازعاتهم نحو الخارج ، في حروب طاحنة مع الدول المجاورة ، استطاع من خلالها توحيد الجبهة الداخلية المتوترة على حساب الشعوب الأخرى ، وقد كانت انتصاراته المتلاحقة حافزاً لتماديه في الانتشار العسكري ، والتوسع الاستعماري ، حتى بلغ المشرق الإسلامي ، مستفزاً بذلك الدولة العثمانية ، دولة

(١) أ- البطريق ، عبدالحميد وعبدالعزيز نوار . التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . ص ٤٤١ و ٤٥١ .
ب- نوار ، عبدالعزيز سليمان . التاريخ الحديث - أوروبا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية . ص ١١٣-١١٥ .
جـ- سلطان ، عثمان . التاريخ السياسي . ج ١ ، ص ٣١٩-٣٢١ .

الخلافة الإسلامية آنذاك ،[1] حتى حدا به طموحه إلى احتلال مصر ، ثم فلسطين ، فاستباح البلدين بالبطش تارة ، وبالخداع والمراوغة والأكاذيب تارة أخرى ، لكنه رجع خائباً بعد ثلاث سنوات من الاحتلال ، تحت وقع ضربات المجاهدين الأبطال .[2]

---

(١) انظر : أ- رمضان ، عبدالعظيم . تاريخ أوروبا والعالم الحديث . ج ١ ، ص ٣٩٧-٤٢٢ .

ب- صلواتي ، ياسين . الموسوعة العربية الميسرة والموسعة . ج ٣ ، ص ١٢٩٢ .

جـ- سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ١٣٠ .

د- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ٧ .

هـ- كروزيه ، موريس وآخرون . تاريخ الحضارات العام . ج ٥ ، ص ٥٤٦-٥٦٠ .

(٢) انظر : أ- الجبرتي ، عبدالرحمن . تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار . ج ٢ ، ص ١٧٩-٦٥٦ .

ب- مورو ، محمد . تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية إلى الثورة . ص ٤٥-٥١ .

جـ- سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ١٤٠-١٤١ .

ولم يزل نابليون بونابرت يمثّل هاجساً مؤرقاً لدول أوروبا ، حتى اجتمعوا في حلف عام لقتاله فهزموه ، وعملوا على نفيه بعيداً عن فرنسا ، لتعود الملكية مرة أخرى إلى البلاد - المنهكة بالحروب والديون والمعاهدات - بلويس الثامن عشر ، الذي ما لبث طويلاً حتى ظهر له في الأفق نجم نابليون مرة أخرى ، ليقود البلاد من جديد لمائة يوم أخرى ، خاض فيها عدة معارك ، حتى هزم في آخرها ضد الإنجليز في معركة وترلو الشهيرة ، مما دفع بعسكره للانقلاب عليه وعزله عن فرنسا للأبد ، وبذلك انتهت أسطورته الحربية .[1]

ثم تعاقبت على فرنسا العديد من الملكيات منذ عام ١٨١٤م ، ورافقتها أيضاً العديد من الثورات ،[2] حتى تمخضت ثورة عام ١٨٤٨م عن الجمهورية الثانية بقيادة لويس

---

(١) نوار ، عبدالعزيز سليمان . التاريخ الحديث - أوروبا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية . ص ١١٣-١٤٥ و ١٤٩-١٥٤ .

(٢) انظر : أ- المرجع السابق . ص ١٨١-١٨٦ و ١٩١-١٩٥ و ٢١٣-٢٢٥ .
ب- راشد ، زينب عصمت . تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر . ص ٢٣٢-٢٣٣ .
جـ- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ١٠٠ .

نابليون (نابليون الثالث) ، الذي قام بانقلاب حكومي ، على إثر استفتاء شعبي عام ، أعلن عقبه قيام الإمبراطورية الفرنسية الثانية ، التي استمرت حتى عام ١٨٧٠م ، حيث انفرد فيها وحده بالحكم والسلطة . [١]

ثم كانت هذه المرحلة تمهيداً لما بعدها من تاريخ فرنسا الحديث ، الذي أسلمها لدخول القرن الميلادي الجديد ، فقد خاضت فرنسا مائة عام من الصراعات والحروب منذ اندلاع الثورة حتى الإمبراطورية الثانية ، فقد كانت أحداثها ولا تزال مادة مثيرة للباحثين للاطلاع والنقد ، والنظر والبحث .

---

(١) أ- نوار ، عبدالعزيز سليمان . التاريخ الحديث - أوروبا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية . ص ٢٣٤ .

ب- راشد ، زينب عصمت . تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر . ص ٢٦٣-٢٧٠.

المبحث الثالث

مبادئ الثورة الفرنسية

ولئن كان للثورة الفرنسية العديد من الإنجازات السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعسكرية ؛ فإن من أعظم إنجازاتها – إن لم يكن هو الأعظم – إعلانها للمبادئ المتضمنة لحقوق الإنسان ، [1] ليس الإنسان الفرنسي فقط ؛ بل ولا حتى الأوروبي ، وإنما هو الإنسان في هذا العالم بصورة مطلقة ؛ فقد نجح الفلاسفة في تأثيرهم على الثورة بالتأكيد على كل ما هو إنساني ، فرغم اختلافهم فيما بينهم ، وتباين كثير من اتجاهاتهم ، إلا أنهم اتفقوا على إبراز صورة الإنسان بوضوح ؛ [2] فقد مُلئت نفوس الفلاسفة إيماناً بكرامة الإنسان ، وقابليته للكمال ، في الوقت الذي فقدوا فيه إيمانهم بتعاليم الكنيسة

(١) راشد ، زينب عصمت . تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر . ص ٣٧ .

(٢) انظر : غروتيويزن ، برنار . فلسفة الثورة الفرنسية . ص ١٢٥-١٣٣ .

وتوجهاتها ، [1] ولهذا لا يخطئ الناظر في وثيقة حقوق الإنسان – التي تمخضت عنها الثورة – ملاحظة بُعديْها الإنساني والعالمي ؛ فقد وصفت الثورة بأنها أوروبية ، وبأنها أطلسية ، [2] حتى وصفها أحدهم بأنها " إنجيل البشرية جمعاء " . [3]

لقد وصل فلاسفة القرن الثامن عشر – بعد معاناة فكرية طويلة – إلى هذه الحقيقة بكرامة الإنسان بعد أن تاه المجتمع الأوروبي عنها زمناً طويلاً في ظل الضلال الكنسي ، وهي عين ما عبر الله عنه في كتابه بقوله المحكم الكريم: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ ، [4] بل ويذهب القرآن إلى ما هو أبعد من هذا ؛ فيقول تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ

---

(١) فيشر ، هربرت . أصول التاريخ الأوروبي الحديث . ص ٣٤٣ .

(٢) الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٣٧ .

(٣) غروتويزن ، برنار . فلسفة الثورة الفرنسية . ص ١٥٢ .

(٤) الإسراء ٧٠ .

عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً...﴾ ، [1] ومثل هذا التصور يعجز عنه المنقطعون عن الوحي .

وأما البعد الإنساني الذي تنادت به الثورة ، فهو أكثر وضوحاً في الخطاب القرآني ، الذي يخاطب " الإنسان " ، [2] و " الناس " ، [3] بصورة مباشرة وواسعة ، فاقت تصورات هؤلاء الفلاسفة ، وما قد يصدر عن فلاسفة المستقبل من الخطاب الشمولي .

وعلى الرغم من القناعة المطلقة بآراء فلاسفة القرن الثامن عشر التنويريين ، من أمثال : روسو وفولتير ، إلى حد تقديس شخصياتهم ، [4] إلا أن صراع قادة الثورة في وضع الدستور المتضمن لنص إعلان الحقوق ، والمسوغات الشرعية لكل ذلك كان على أشده فيما بينهم ؛ فقد شمل نزاعهم قضايا كان من بينها : تحديد المخول بحق التشريع ووضع القانون ، ومسوغ إلزام الناس به ، وقضية الموازنة الصعبة بين

---

(١) لقمان ٢٠ .

(٢) انظر : عبدالباقي ، محمد فؤاد . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . ص ٩٣-٩٤ .

(٣) انظر : المصدر السابق . ص ٧٢٦-٧٢٩ .

(٤) انظر : ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٣٩١ .

الحقوق الفردية والجماعية ، وحدود الحرية بين الدولة والفرد ، إضافة إلى فلسفة الأكثرية التي تفصح عنها صناديق الاقتراع ، وهل المنتخَبون بالفعل يمثلون الأمة ، أم أنه تمثيل ناقص لا يعبر عنها ، [(١)] كل ذلك وغيره كثير كان موضع نزاع بين قادة الأحزاب المتنافسة من رجال الثورة ، حتى إن بعض الأفكار الشيوعية المتعلقة بمبدأ رفض الملكية الفردية وطرح الفكرة الاشتراكية المالية ؛ فقد كان ذلك الطرح المتطرف موضع استحسان بعض الأحزاب المتشدِّدة . [(٢)]

ولقد تضمنت وثيقة حقوق الإنسان سبعة عشر بنداً ، وهي حصيلة ما توصل إليه العقل البشري في ذلك الوقت ، وهي – مع ذلك – غالب ما تضمنته دساتير العالم المتحضر في هذا العصر ، [(٣)] ويمكن تلخيص هذه البنود وتحليلها ،

---

(١) انظر : غروتويزن ، برنار . فلسفة الثورة الفرنسية . ص ٥ و ٨٩-٩١ و ١٦٢-١٦٣ و ١٧٣-١٧٧ و ١٨٨-١٩١ و ٢٠٢-٢٠٤.

(٢) أ- رمضان ، عبدالعظيم . تاريخ أوروبا والعالم الحديث . ج ١ ، ص ٣١٥ .

ب- ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٤٥٤-٤٥٥ .

(٣) انظر : سلطان ، عثمان . التاريخ السياسي . ج ١ ، ص ١٥٤-١٥٩ .

وتفنيد مضامينها في النقاط الآتية :[1]

---

(١) انظر : أ- نوار ، عبدالعزيز سليمان وعبدالمجيد نعنعي . التاريخ المعاصر . ص ٤٦-٤٨ .

ب- البطريق ، عبدالحميد وعبدالعزيز نوار . التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . ص ٣٧١ و ٣٧٨-٣٧٩ .

جـ- جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ١١٤ .

د- سلطان ، عثمان . التاريخ السياسي . ج ١ ، ص ١٥٦-١٥٩ .

هـ- الجادرجي ، رؤوف بك . التاريخ السياسي . ص ٦٠-٦١ .

و- الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٣٤-٣٣٦ و ٣٤٦ .

ز- موسنييه ، رولان وآخران . القرن الثامن عشر - عهد الأنوار . ج ٥ ، ص ٤٣٩-٤٥٠ و ٤٧٨ .

ح- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ٩٣ و ١٠١-١٠٤ .

ط- سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ١٥٨-١٥٩ و ١٦٥-١٦٦ و ١٧٤-١٧٦ و ٢٥٩ و ٥٣٧ و ٥٦١ و ٥٨١ و ٥٨٤ و ٥٨٧ .

ي- غروتويزن ، برنار . فلسفة الثورة الفرنسية . ص ٥٥-٥٦ و ١٤٠-١٤٣ و ١٠٨-١٠٩ و ١٨١ و ١٨٥ و ١٨٧ و ٢٠١ .

ك- ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ١٧١-١٧٢ و ١٧٧ و ١٨٩ .

أ- الأمـة :

١- حق السـيادة الوحيد للأمة فقط ، فهي كائـن مطلـق لا إلزام عليه من أحد ، تسـتمد سـلطتها من ذاتها ، وليس من مصـدر خارج عنها ، فهي سـيـدة نفسـها ، وحقها مقدم على جميع الحقوق .

٢- كل سلطة مرجعها الأمة ، فالشريعة مظهر إرادة الأمة .

٣- صناديق الاقتراع وحدها مصدر الحقيقة القانونية ، وهي المعيار الذي يعبر عن إرادة الشعب .

٤- الإنسان يتحول - في ظل القانون الذي شارك في إعـداده وإقراره - من الأنا الفردية إلى الأنا الجماعية ، فتذوب الأنا الصغرى (الذات) في الأنا الكبرى (الأمة) .

ب - القانون :

١- القانون تعبير عـن إرادة الأمة ، التي شـاركت في وضـعه وصياغته ، وهو فـوق الجميـع بـلا اسـتثناء ، ولـه حـق السيادة على الأمة .

٢- اسـتقلال السـلطات الـثلاث : (التشـريعية ، والتنفيذيـة ، والقضاء) بعضها عن بعض .

٣- القانون خادم للحريات العامة ، يحفظها ويمكن المواطنين منها ، وليس حاكماً عليها .
٤- القانون هو الذي يحدد الممنوعات والمحظورات والقيود بناء على إرادة الأمة ، فليس ذلك لأحد بعينه ، وإنما هو لمجموع الأمة .
٥- وظيفة القانون الجوهرية : منع الأعمال الضارة بالمجتمع .
٦- العقوبات القانونية تُوضع بناء على ما تستلزمه الحاجة الاجتماعية .
٧- لا عقوبة على جريمة إلا بعد صدور قانون بها .

جـ- الحريـة :

١- الحرية حق مطلق لجميع المواطنين ، لا تتقيد بحدود إلا ما فيه مخالفة للقانون ، أو ضرر على الآخرين ، فحدود حرية الفرد تنتهي عند بدايات حريات الآخرين ، وما لا يمنعه القانون فهو مباح : (أنا سيد نفسي) .
٢- الحق كامن في الإنسان بصفته إنساناً ، وهو سابق للقانون ، وما الحرية إلا تعبير عن هذا الحق الإنساني الطبيعي .
٣- نطاق الحرية يشمل الحق في اختيار : المعتقدات الدينية ،

والآراء الشخصية ، والأفكار والتصورات ، والتعبير عنها بأريحية عبر الوسائل المختلفة .

٤- تحريم إيذاء أحد بسبب تعبيره عن آرائه الشخصية ، أو معتقداته الدينية ، ما لم يخالف بذلك القانون .

د- الدين :

١- لا سلطان للدين ومضامينه الغيبية في مجتمع الثورة ، بل السيادة للعقل ونتائجه العلمية .

٢- الحقائق لا تخرج عن وعي الإنسان ، مما يراه ويدركه بنفسه ، ويشعر به في ذاته .

٣- حقيقة الإنسان تكمن في ذاته الجسدية المادية ، والروح ليست حقيقة مستقلة عن الجسد .

٤- الفرد سيد مطلق ، وهو إله نفسه ، يتصرف كيف يشاء ، ضمن حد القانون .

٥- الآراء التي يعبر عنها الناس كلها صحيحة ، ومتساوية في قيمتها.

٦- إلغاء الحق الإلهي بسقوط الملكية ، وتحويل حق السلطة من الملك - الذي كان يحكم بأمر الله - إلى

الشعب – الذي يستمد سلطته من ذاته – ممثلاً في نوابه ، الذين يعبرون عنه .

هـ - المواطنة :

١- الناس أحرار طوال حياتهم ، ومتساوون في الحقوق .

٢- إلغاء نظام الرق ، وتحرير الزنوج .

٣- من حق كل فرد أن يعيش حياة كريمة بكسبه إن كان قادراً، أو بالمساعدات الحكومية والشعبية إن كان عاجزاً .

٤- من حق كل فرد الاستمتاع بحق الملكية الفردية ، فلا تنزع منه إلا بناء على القانون ، مع تعويض مرضٍ .

٥- المتهم بريء حتى تثبت إدانته ، ومن حق المتهم التلطف في معاملته ، وتمكينه من حق المحاماة ، ضمن قضاء عادل .

٦- من حق الفرد الاستمتاع بمشاعر الأمن والاطمئنان .

٧- النقل ، والتجارة ، والزراعة ، والتعليم المجاني : حقوق مكفولة للجميع .

٨- الإسعاف العام واجب اجتماعي مقدس .

و- **الامتيازات** :

١- إلغاء جميع الامتيازات الخاصة أمام القانون ، بما فيها امتيازات العسكريين ، ورجال الدين والحكومة ، وما كان يستمتع به النبلاء من امتيازات خاصة .

٣- إلغاء الألقاب ، والشعارات ، والشرف الموروث بإعلان تساوي رتب جميع الناس في المجتمع .

٣- الوظائف حق للجميع حسب الكفاءة ، فلا يجوز بيعها ، أو المحاباة بها .

٤- من حق المجتمع طلب محاسبة الموظفين الحكوميين عن أداء أعمالهم .

٥- رجال الدين موظفون للدولة ، لا يستمدون سلطتهم من الله ، ولا من البابا ، يعملون في خدمة الشعب .

٦- ضمان حق الأفراد في الانتخاب والترشيح في ضوء ما نص عليه القانون .

٧- تساوي الجنسين في مقدار الميراث .

٨- عدم حرمان العاقر من الاستمتاع بحقوقه القانونية .

ز- **الضرائب** :

١- إلغاء نظام الإقطاع ومظالمه وإتاواته المالية .

٢- إلغاء العُشْر المفروض على الشعب للكنيسة .

٣- الضرائب يتحملها الجميع كل حسب قدرته ، وحجم ملكيته .

٤- الجميع يشارك في نفقات الدولة حسب الإمكان .

٥- للشعب الحق في تحديد مقدار الضرائب ، وبيان مجالات إنفاقها .

ح- الحكومة :

١- قيام الحكومة حق للشعب ، بهدف حمايته ، ورعاية حقوقه الطبيعية ، وضمان حفظ الحريات .

٢- قيام الحكومة يحصل بعقد بين الحاكم والمحكوم ، يتضمن تفويض الشعب للحكومة القيام بشؤون البلاد ، وليست الحكومة مِلكاً للحكام .

٣- من حق الشعب مقاومة الاضطهاد ، وإسقاط الحكومة إذا أخلت بواجباتها .

٤- يتم اختيار القضاة بالانتخاب .

٥- نظام الدولة الإداري لا مركزي .

هذه مجمل المضامين الفكرية ، والسياسية ، والاجتماعية ،

والاقتصادية التي تضمنتها البنود السبعة عشر لحقوق الإنسان ، التي تمخّضت عنها الثورة الفرنسية ، حيث تظهر فيها بقوة مسألة الحرية ، والمساواة ، وسيادة الأمة ، واحترام القانون ، وطبيعة دور الحكومة ، إضافة إلى التقليص من دور المؤسسات الدينية ، وآثارها في الحياة العامة .

المبحث الرابع

موقف الثورة الفرنسية من الكنيسة

رغم السمة اللادينية التي اتسمت بها بنود حقوق الإنسان التي نادت بها الثورة الفرنسية منذ أول انطلاقها ؛ فإن الشعب الفرنسي في الجملة لم يكن ملحداً رافضاً للدين ، [1] بل حتى علماء الطبيعة والفلاسفة في القرن السابع عشر لم يكونوا هم أيضاً ملحدين ، سواء كانوا من الكاثوليك أو البروتستانت ، [2] فالطابع الديني كان عاماً في أوروبا ، إلا أن الصبغة اللادينية ، ممثلة في موجة النقد اللاذع للوجهة الكنسية أخذت مداها في بداية القرن الثامن عشر على يد جمع من الفلاسفة ، الذين راحوا يؤلفون نسقاً آخر للإيمان ، بعيداً عن النسق الكنسي اللاهوتي ، يقوم مقام الدين في إلزام الناس بالأخلاق والسلوك الحسن ، ورغم أن هذا الاتجاه لم يكن موضع اتفاق بين جميع الفلاسفة

---

(١) ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٣٩١.

(٢) صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ٥٦٨ .

في ذلك العصر ، إلا أنهم أجمعوا على نقد الوجهة الدينية السائدة آنذاك ؛ مما أضعف الشعور الديني عند الناس ، لا سيما عند الطبقة المثقفة منهم ، مغفلين بذلك حاجة الناس الفطرية إلى التدين ، وضرورة الإلزامات الدينية لضبط غرائز الإنسان الحيوانية ، [1] فقامت الثورة الفرنسية مشبعة بآراء الفلاسفة الحادة تجاه الدين ، مسقطة بذلك الحرمة والتقديس عن كل شيء ، مما أشاع الفوضى في الحياة الدينية المسيحية ، [2] حتى وصفت الثورة بالإلحاد ، ووصف فلاسفتها المنظرون لها ، من أمثال : روسو ، وفولتير ونحوهما بالملحدين ، [3] وهذا ما منع رجال الكنيسة من تأييد الثورة ، ودفَعهم للسعي في إجهاضها ، حين وجدوها لا تعمل في

---

(١) أ- ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٣٦١ و ٣٩١ و٣٩٧-٣٩٨ .

ب- فيشر ، هربرت . أصول التاريخ الأوروبي الحديث . ص ٣٤٢.

(٢) موسنييه ، رولان وآخران . القرن الثامن عشر - عهد الأنوار . ج ٥ ، ص ٤٨٠ .

(٣) سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٣٠-٣١-٤٠ و ٤٤ .

صالحهم ، رغم أن جمعاً من صغار الكهنة أيدوا الثورة ، كما أن بعضاً من رجال الثورة لم يكونوا منحازين كلياً ضد الكنيسة ؛ إلا أن النفرة كانت واضحة وغالبة بين الفريقين منذ اندلاع الثورة ، [1] حتى إن قادة الثورة رفضوا مقترح بعض رجال الدين تضمين الدستور الإشارة إلى أن الكاثوليكية دين الدولة ، باعتبار ذلك التضمين تكريساً للعهد القديم البائد ؛ [2] مما أضعف - بدوره - من هيبة البابوية وسلطانها في فرنسا ، [3] وهيأ لعهد جديد لا ديني .

وأشد من هذا : فتنة رجال الكنيسة عام ١٧٩٠م بالقسم على الولاء للدستور الجديد ؛ [4] مما أوقعهم في حرج مع البابا في روما ، الذي أصدر بدوره إعلاناً

---

(١) انظر : أ- ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٣٩٤ .
ب- سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ١٩١-١٩٢ و ٣١٩ و ٣٢٤ .

(٢) سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٨٧ .

(٣) فيشر ، هربرت . أصول التاريخ الأوروبي الحديث . ص ٣٣٤ .

(٤) صلواتي ، ياسين . الموسوعة العربية الميسرة والموسعة . ج ٣ ، ص ٢٩١ .

يتضمن قراراً بالحرمان لكل كاهن يقسم على الولاء لدستور الثورة ،[1] مما دفع بقادة الثورة إلى مزيد من التعسُّف بحق رجال الكنيسة ، فقتل بعضهم في عهد الإرهاب بتهمة التآمر على الثورة ،[2] ووثبت بعض الجماهير المتحمسة على أفراد ممَّن لم يقسم على الدستور من رجال الدين فقتلوهم ،[3] وقطعت فرنسا الثائرة صلتها بالبابا وبالكنائس خارج البلاد ، وحرمت على رعاياها الاعتراف بها ، أو التعامل معها ، وألزمتهم التعامل مع الكنائس الفرنسية التابعة للدولة ،[4] وأصبح اختيار الأساقفة يحصل بالانتخاب ، وليس تعييناً مباشراً من البابا .[5]

وأخذت مظاهر الاستهزاء بالدين والسخرية من رجاله

---

(١) البطريق ، عبدالحميد وعبدالعزيز نوار . التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . ص ٣٨٥ .

(٢) سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٣٨ و ٦٥-٦٦ .

(٣) ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ٢٦١ .

(٤) عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ١٨٤ .

(٥) رمضان ، عبدالعظيم . تاريخ أوروبا والعالم الحديث . ج ١ ، ص ٣٥٨ .

طريقها إلى داخل جدران الكنيسة ؛ فقد تجرأ بعض الملحدين من الفنانين والموسيقيين على وضع امرأة شبه عارية على كرسي داخل الكنيسة ، ثم سجدوا لها ، بعد أن طردوا منها القساوسة والرهبان ، وأعلنوا عبادة العقل ، أو ما يُسمى بالكائن الأسمى ، وظهرت الحركة الإنسانية ، كمظهر من مظاهر التعليم الكلاسيكي المدني اللاديني ، الذي ترجع جذوره إلى الفكر اليوناني الملوث بالوثنية ، مما مكّن لهؤلاء اللادينيين من توجيه الناس وتربيتهم بدلاً من رجال الدين ، [1] بل إن المناداة بإلغاء الكنيسة والتخلص منها بالكلية طرحت كمطلب لبعض الموتورين من رجال الثورة ، وجمع من المنتسبين لبعض الأندية الفرنسية التي

---

(١) انظر : أ- صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ٨٢-٨٧ .

ب- جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ٢٠٢ .

جـ- سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٦٢-٦٣ .

قامت آنذاك ، [1] رغم أن الفكرة العلمانية بفصل الدين عن الدولة لم تكن حاضرة بقوة في طرح غالب قادة الثورة آنذاك ، وإنما كانت غايتهم صهر الأمة في كتلة واحدة ، [2] ومع ذلك فقد جرت الأحداث بالثورة لتكون في مقابل الكنيسة .

ولما كان مطلب إلغاء الكنيسة الفرنسية بالكلية يُعدُّ أمراً مستحيلاً ؛ إذ الدين – أياً كان – هو جزء أصيل من الشخصية الإنسانية ؛ لذا فقد سلكت الثورة مع الكنيسة نهجين اثنين :

النهج الأول : تحجيم انشطة الكنيسة :

اتخذت حكومة الثورة العديد من الإجراءات السياسية والإدارية والفكرية بقصد تحجيم أنشطة الكنيسة ، وحصرها

---

(١) انظر : أ- البطريق ، عبدالحميد وعبدالعزيز نوار . التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . ص ٣٨٦-٣٨٧ .
ب- سلطان ، عثمان . التاريخ السياسي . ج ١ ، ص ٢٧٠-٢٧١ .
جـ- الحوالي ، سفر عبدالرحمن . العلمانية – نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة . ص ١٧٢ .

(٢) ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ١٨٩ .

في حدود تعبدية وشكلية ضيقة ، تبعدها – بهذه الإجراءات – عن مواطن التأثير الشعبي ، الذي استغلته دهراً من الزمان ، ويمكن حصر وتلخيص هذه الإجراءات في النقاط الآتية : [1]

١ – تجريد الكنيسة من ممتلكاتها ، باعتبارها موارد مالية للدولة ، لا سيما وأن الدولة في حاجة إلى موارد

---

(١) انظر : أ- نوار ، عبدالعزيز سليمان وعبدالمجيد نعنعي . التاريخ المعاصر . ص ٣٩ .
ب- المسيري ، عبدالوهاب . موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية . ج ١ ؛ ص ٤٣٧ .
جـ- صلواتي ، ياسين . الموسوعة العربية الميسرة والموسعة . ج ٣ ، ص ٢٩١ .
د- راشد ، زينب عصمت . تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر . ص ٢٣١ .
هـ- موسنييه ، رولان وآخران . القرن الثامن عشر – عهد الأنوار . ج ٥ ، ص ٤٣٩ و ٤٩٨ .
و- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ١٠٠ و ١٦١ .
ز- كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ١١٢ .
ح- سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ١٥١-١٥٢ و ١٧٩ و ٣١٩-٣٢٥ و ٤٠٥-٤٠٦ و ٥٦٤-٥٦٧ .
ط- ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ١٩٤-١٩٥ و ٢٧٧-٢٧٨ .

مالية جديدة .

٢- إلغاء نظام العشور التي كانت تتحصلها الكنيسة من الناس بغير وجه حق .

٣- إعلان فرنسا عام ١٧٩٤م دولة علمانية ، ليس لها دين رسمي، رغم أن عامة الشعب يدينون بالمذهب الكاثوليكي حسب ما هو واقع .

٤- إغلاق غالب الكنائس وإهمالها ، وترك النفقة عليها ، وربط مخصصات رجالها بالدولة ، باعتبارهم خُداماً للشعب ، ومنعهم من أخذ الهدايا .

٥- صبغ جميع الاحتفالات ، والمآتم ، والمقابر ، والأنشطة العامة بالصبغة العلمانية ، والتخفيف من المظاهر المسيحية ، وحصر الاحتفالات الدينية داخل الكنيسة .

٦- استبدال رجال الثورة وشهدائها مكان المقدسات الدينية ، واتخاذهم رموزاً شعبية .

٧- اعتبار الوطن هو الأم ، وهو قبلة الشعب دون منازع أياً كان .

٨- تمكين الموتورين من إطلاق أقلامهم وألسنتهم للطعن في الكنيسة ومبادئها ، في مقابل تمجيد الثورة ورموزها ،

وتأييد توجهاتها العلمانية .

٩- ربط الناس والدولة بتاريخ قيام الثورة ، بدلاً من التاريخ الميلادي المرتبط بالفكرة الدينية .

١٠- قطع صلة الكنائس الفرنسية بالبابا في روما ، باعتبارها كنائس قومية ؛ فتعيين القساوسة يتم بالانتخاب الشعبي ، بدلاً من تعيينات البابا واختياراته .

١١- إلزام رجال الدين بالقسم المدني على دستور الدولة ، الذي يربطهم بالحكومة والشعب ، وليس بالكنيسة أو البابا .

١٢- تحويل الإشراف على المدارس ، والجامعات ، والمستشفيات ، والأحوال الشخصية من نكاح وطلاق ونحوها إلى الدولة بدلاً من الكنيسة ، باعتبارها أنظمة اجتماعية مدنية لا علاقة لها بالدين ؛ مما عمق الفكرة العلمانية عند الناس ، المتضمنة للفصل بين ما هو ديني ، وبين ما هو مدني .

١٣- عدم إلزام الناس بالعبادات ، والشعائر الدينية .

١٤- التخلي عن الدفاع عن الكاثوليكية ، وعدم إلزام

الناس بها .

١٥- منع عامة الناس من اللباس الديني ، وقصره على رجال الدين في أثناء أدائهم لعملهم .

١٦- في عام ١٩٠٥م تم الفصل الكامل في فرنسا بين الكنيسة والدولة .

١٧- في عام ١٩٢٣م ألغيت سفارة فرنسا في الفاتيكان .

١٨- في عام ١٩٢٤م تمت المطالبة من جديد بالفكرة العلمانية ، وأخذ لها التأييد الشعبي العام .

١٩- أقامت فرنسا علاقة دبلوماسية رسمية مع حكومة روسيا الشيوعية ، التي تتنكر للأديان جملة وتفصيلاً .

النهج الثاني : تطوير طبيعة الكنيسة :

وأما النهج الثاني الذي اتبعته الثورة في تعاملها من الكنيسة هو العمل على تطويرها ، وتجديد وجهتها ، وتسييس ممارساتها ؛ لتوافق إجراءات الثورة ، ومبادئها ، واتجاهاتها ، وتسايرها في قراراتها وممارساتها ؛ بحيث تنتهي الكنيسة الفرنسية إلى طابع رمزي شكلي ، خالٍ من الحقيقة الدينية .

وفيما يلي استعراض الإجراءات التي اتخذتها الثورة

لتطوير أداء الكنيسة الفرنسية لتوافق أهداف وتوجهات الثورة :[1].

١- السعي في عقلنة معتقدات وممارسات الكنسية ومراجعتها ، في ضوء العلم الحديث ، والنظر الصحيح .

٢- السمو بالعقل البشري ، وإشاعة الاعتقاد بقدرته على فهم معطيات الكون وتسخيرها في مصالحه ، دون الحاجة إلى التفسيرات الدينية واللاهوتية لفهم الكون .

٣- إحلال الطبيعة محل الغيب ، والعلم محل اللاهوت ، فما يمكن التعامل معه ، والإحساس به هو الحقيقة التي يجب

---

(١) انظر : أ- الجادرجي ، رؤوف بك . التاريخ السياسي . ص ٦٨ .
ب- سلطان ، عثمان . التاريخ السياسي . ج ١ ، ص ٢٧٠ .
جـ- صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ٥٧٢-٥٧٣ .
د- موسنييه ، رولان وآخران . القرن الثامن عشر – عهد الأنوار . ج ٥ ، ص ٤٣٨ .
هـ- ليفه ، جورج ورولان موسنييه . موسوعة تاريخ أوروبا العام . ج ٣ ، ص ١٢٣ و٤٨٣ و٥٥٥ .

الإيمان بهـا ، وعـدم تعـديها لمـا هـو غـير معـروف ولا محسوس .

٤- الاعتقـاد بـأن العـالم تديـره الطبيعـة بقانونهـا المحكـم ؛ فالتقـدم يبنـى على فهـم هـذه الطبيعـة وقانونهـا ، والتعامل معها ، وعدم تجاوزها إلى عالم الغيب .

٥- تقـدم الحيـاة وازدهارها يقـوم على القانـون الطبيعـي ، الذي يدركـه العقـل البشـري ، ويفهمه ويسخره .

٦- ترويض الكنيسة للعـيش في عصـر الحريـات الشخصـية والدينية ، بعيداً عن القسر والإلزام .

٧- إحلال قيـم وأفكار جديـدة محل القيـم والأفكار القديمـة ؛ لمواكبـة النهضـة العلمية والتقنية المرتقبة .

٨- إلغـاء الأديـرة ودور الرهبـان ، وتشـجيع نزلائهـا على الزواج وتكوين الأسرة بالمكافآت المادية والمعنوية ، باعتبار أن الزواج مطلب وطني وحضاري .

٩- فـرض احـترام حقـوق الإنسـان ، باعتبارهـا حقوقـاً طبيعيـة يستمتع بها كل مـواطن ، بمـا في ذلـك الحقـوق الدينية في حرية الاعتقاد والممارسة التعبدية .

من خلال هذين النهجين – التحجيم والتطوير – استطاعت حكومة الثورة تطويع الكنيسة الفرنسية ، وترويضها لتسير في ركابها ، وتعمل في ظلها ، بعيداً عن نهجها القديم الموصوف بالتزمت والرجعية ؛ فبعد أن كانت للكنيسة اليد الطولى في الحياة الفرنسية ، إلى درجة أن لويس السادس عشر آثر الهرب من فرنسا ، والتعرض للمخاطر على أن يقر بالدستور الجديد الذي فيه إساءة للدين :[1] أصبحت الكنيسة ألعوبة في يد جمع من قادة الثورة ، ورجال بعض الأندية المتطرفة ، حتى اتهمت بالردة عن الدين ، لإفراطها في التسامح العقدي والأخلاقي .[2]

إن ما منيت به الكنيسة الفرنسية بعد الثورة من التحجيم والتضييق ، والإرغام على التخلي عن كثير من مبادئها : لم يحصل من فراغ ؛ وإنما هي مقدمات تاريخية ، وتراكمات ثقافية ، وأحداث واقعية : حُشدت في بداية القرن

---

(١) البطريق ، عبدالحميد وعبدالعزيز نوار . التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . ص ٣٨٥ .

(٢) ليفه ، جورج ورولان موسنيه . موسوعة تاريخ أوروبا العام . ج ٣ ، ص ٤٨٣ .

الثامن عشر على يد الفلاسفة التنويريين لتقويمها ، ثم سيقت في نهاية ذلك القرن على يد الثوار الفرنسيين لمحاكمتها ، فكانت النتائج بعد الثورة تتناسب - إلى حد كبير - مع المقدمات السابقة : التاريخية والثقافية .

لقد تورطت النصرانية الأوروبية بصورة عامة ، والنصرانية الفرنسية بصورة خاصة عبر تاريخها الطويل في العديد من القضايا : العقدية ، والفكرية ، والسياسية ، والسلوكية ، التي حطّت من مكانة الدين ورجاله ، وأفقدت الأجيال المتأخرة الثقة في اختيارات الكنيسة ومصداقيتها ؛ مما عكس أثره السلبي على الحياة الدينية ، حتى انتشرت - إبّان الثورة - العديد من مظاهر الإلحاد ، والشك ، وهجر الدين بين صفوف الناس ، إلى أن وصل شيء من ذلك إلى بعض القساوسة ، فتظاهر بعضهم بالتدين لمجرد الانتفاع الشخصي ، وترك بعضهم حياة الرهبان ، وقلّ دخول الناس إلى هذا السلك الديني ،[1] ولعل في رسالة الفيلسوف فولتير إلى إحدى نساء عصره : " مركيزة دي ديفان " ما يوضح عمق

---

(١) ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٣٩٣-٣٩٦ .

الأثر السلبي الذي خلَّفته الكنيسة في حياة الناس الدينية ، حيث يقول متحيراً ومتشككاً : " إنك تهونين الحقيقة ، ولكن يدرك الحقيقة من استطاع إليها سبيلاً ، فقد بحثت عنها طوال حياتي فلم أستطع العثور عليها ، ولم أبصر إلا وميضاً خفيفاً ، يخاله المرء أنه هي " ، [1] وقال مرة : " إننا نعوم في الشك ، وليس لدينا إلا القليل من الأفكار الواضحة ... " ، [2] وهذا أيضاً الفيلسوف روسو ، الذي عاش غالب حياته وحيداً منعزلاً متشائماً ، رافضاً لواقع حياته الاجتماعية ، يقول واصفاً حيرته : " إن ما أريد أن أعرفه هو : كيف ينبغي أن أعيش ، وما هو المعنى الحقيقي لحياتي ؟ " . [3]

هذان الفيلسوفان وغيرهما كثير ، تعرضوا لحياة الشك والحيرة والتردد ، التي أحدثتها الكنيسة في حياة الناس الدينية ، وعاشوا مرارتها حتى وُصفوا بالإلحاد – كما تقدم – لشدة نقدهم لآراء وممارسات الكنيسة الدينية ، في حين تشير

---

(١) غروتويزن ، برنار . فلسفة الثورة الفرنسية . ص ٦٠ .

(٢) المرجع السابق . ص ٦٠ .

(٣) المرجع السابق . ص ١٠١ .

الشواهد الكثيرة أنهم لم يكونوا كذلك ؛[1] بمعنى أنهم لم يكونوا رافضين مطلق الدين ، ولا منكرين لوجود الخالق سبحانه ، وإنما هم نتاج واقع ديني فاسد ، لا يعبر بصدق عن مراد الله تعالى ، وكلماته في كتابه ، وإنما هو خرص القساوسة والرهبان وضلالاتهم ، المبنية على الأهواء والضغائن والشهوات ، كما وصف الله تعالى حالهم حيث قال : ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ...﴾[2] ، وقال أيضاً : ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ

---

(١) انظر : أ- المرجع السابق . ص ١٠٤-١٠٥ .
ب- فيشر ، هربرت . أصول التاريخ الأوروبي الحديث . ص ٦٨-٦٩ .

(٢) المائدة ١٤ .

أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ، [1] إلى أن قال سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ ... ﴾ ، [2] وقال عز وجل في موضع آخر : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ . [3]

ويمكن هنا إجمال أهم الأسباب التي كانت وراء غلو الثورة الفرنسية في نقد وتحجيم الكنيسة ، واتخاذها الإجراءات المشددة تجاهها ، وذلك من خلال استعراض أربع قضايا كان لها الدور الأكبر في فقد الكنيسة لمكانتها ؛ مما سوغ لقادة الثورة الجرأة عليها ، وذلك على النحو الآتي :

١- خوض الكنائس الأوروبية في صراعات

---

(١) التوبة ٣٠-٣١ .

(٢) التوبة ٣٤ .

(٣) النساء ١٥٧ .

دموية حامية عبر قرون متطاولة ، بين أرباب المذاهب الدينية المختلفة ، لا سيما بين الكاثوليك والبروتستانت ، والتي انتهت بحرب الثلاثين عاماً ما بين (١٦١٨م-١٦٤٨م) ، وهي نتاج مؤسف لمآسي التعصب الديني الأعمى ، [١] الذي بلغ حد الإرغام بالقوة على ترك المعتقدات ، إلى درجة إقامة محاكم التفتيش لتتبع المخالفين والفتك بهم ، [٢] وأقل ما يمكن ممارسته مع المخالفين هو التضييق والحرمان ، [٣] وقد عبر جان جاك روسو عن هذه المأساة العصبية بقوله : " إن الدين الحق هو أن أفعل ما يجب علي فعله ، ولكن ماذا فعلوا بالدين ؟ لقد جعلوا منه تعاليم لا صلة لها بحياة الناس ، لقد أضافوا إلى الأسرار العويصة

---

(١) انظر : أ- طبلية ، القطب محمد . الإسلام وحقوق الإنسان – دراسة مقارنة . ص ١٦-١٧ .
ب- فوللر ، ج . ف . إدارة الحرب . ص ١٣ .
جـ- فيشر ، هربرت . أصول التاريخ الأوروبي الحديث . ص ١٥-٢٦ و ١٨٣-١٩٧ .

(٢) الأدهمي ، محمد مظفر . دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث . ص ٥٧ .

(٣) جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ١٢-١٣ .

المحيطة بنا تناقضات غير معقولة ، وجعلوا الناس مغرورين متعصبين قساة ، وجلبوا لنا الحرب بدلاً من السلم ... " ، [1] وقال فولتير معبراً عن هذا التاريخ المظلم : " إن الطائفة المسيحية لم تفعل سوى الشر منذ سبعة عشر قرناً ". [2]

٢- تورط كثير من رجال الكنيسة في مفاسد خلقية وسلوكية يصعب تبريرها ، مما يشين الشخص العادي فضلاً عن رجل الدين ، إضافة إلى فساد الذمم المالية ؛ فقد كانت الكنيسة تجبي أموالاً طائلة من الشعب ، مما تفرضه من العشور على الأراضي والممتلكات ، ثم لا يعرف بعد ذلك - وبصورة واضحة - مصارفها ، مما يتيح فرصاً للاختلاس والسرقة ، إضافة إلى ما تحصله الكنيسة من السحت الحرام مقابل ما يُسمى بصكوك الغفران ، إلى جانب فساد مقام البابوية ، الذي اعتراه ما اعترى عموم هذا القطاع الديني من المفاسد . [3]

---

(١) غروتويزن ، برنار . فلسفة الثورة الفرنسية . ص ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق . ص ٦٧-٦٨ .

(٣) انظر : ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ١٤، ص ٣٧٧-٣٨٣ و ج ٢٢، ص ٣٩-٥٥ و ج ٤٢ ، ص ٣٩٣-٣٩٥ .

٣- شرعنة الكنيسة لمظالم الملوك ، والتسويغ لنظام الإقطاع الاستبدادي ، وما ترتب على ذلك من مآسٍ ومفاسد ؛ فقد كانت الكنيسة عماد سلطة الملوك ، تسبغ على حكمهم الشرعية ، وتباركه باسم الله ، رغم أنها في بادئ الأمر لم تكن تحبذ حكم الملوك ، ولكنها أذعنت له بعد ذلك وسايرته ، كما أنها كانت ركيزة النظام الإقطاعي المستبد ، والمنفرد بالامتيازات الكثيرة والمجحفة بحق الشعب ، إضافة إلى تمتع الكنيسة بحجم كبير من ريع الإقطاع ؛ بما تتحصله من العشور التي تفرضها على الناس ، [١] يقول المؤرخ ول ديورانت ملخصاً هذه الرابطة بين الكنيسة والاستبداد السياسي : " كان لقصة القرن الثامن عشر في غرب أوروبا موضوع ذو شقين : انهيار النظام الإقطاعي القديم ، والانهيار الوشيك للدين المسيحي ، الذي أضفى على ذلك النظام سنده

---

(١) أ- الأدهمي ، محمد مظفر . دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث . ص ٨ .

ب- صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ٣٨ .

جـ- ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٣٦ ، ص ١٣ .

الروحي والاجتماعي ، فقد كانت الدولة والدين مرتبطين برباط المعونة المتبادلة ، وبدا أن سقوط الواحد يجر الآخر إلى مأساة مشتركة " .[1]

٤- أزمة الكنيسة مع العلوم الطبيعية ، من جهة فهمها بصورة واضحة ، ومن جهة تقبلها باعتبارها علوماً صحيحة تخدم الإنسان ، فقد غلب على العقل الأوروبي القديم الحيرة في تفسير : الحياة ، والكون ، والإنسان ، وسجل التاريخ الكثير من تعبيرات الفلاسفة المتشككة والمتحيرة ،[2] حتى قال برنار غروتويزن واصفاً العقلية الأوروبية في بدايات القرن السابع عشر : " كان الناس في القرن السابع عشر تهيمن عليهم فكرة عبث الحياة ، وأنه ما من شيء عقلاني في العالم المعنوي ، وأن عالم الطبيعة يظل سراً لا يدرك كنهه " ،[3] إلا أن هذا الواقع المتخلف لم يدم طويلاً حتى أخذت العلوم الطبيعية طريقها إلى الحياة الإنسانية مع منتصف القرن السابع عشر ، متبوِّئة المكانة السامقة بين معارف العصر ،

(١) المرجع السابق . ج ٣٥ ، ص ١٦٧ .

(٢) انظر : غروتويزن ، برنار . فلسفة الثورة الفرنسية . ص ١٠-١٩ .

(٣) المرجع السابق . ص ١٣.

بعد الاكتشافات العلمية الناجحة والمتتابعة ، حتى ظهر ما يُسمى بالدين الطبيعي ، الذي يتضمن ضرورة التفاعل الإيجابي مع القوانين الطبيعية المبثوثة في الكون ، والتي يمكن للإنسان اكتشافها والتعامل معها بغير التعاليم الدينية ، فهيأ هذا الواقع الجديد لظهور المذهب العقلي ، القائم على المنهج التجريبي ، والمحدد بالقدرة الإنسانية وبالميدان المشاهد المحسوس ، الذي أضعف بدوره الاتجاه الغيبي (الميتافيزيقي) ، الذي عجز عن إثبات فروضه في واقع الحياة ، فلم يعد المفكرون الفرنسيون يرتضون هذا النوع من التأمل ، مما مكّن للمذهب العقلي من أن يكون فلسفة واقعية محترمة ، قادرة على إثبات معطياتها بصورة علمية يقينية محسوسة ، فكان لهذا التقدم العلمي آثاره المدمرة على الكنيسة في القرن الثامن عشر ، فقد كانت أولى مؤسسات المجتمع التي تعرضت للنقد العلمي ، الذي زعزع أركانها ، وأثار الشكوك والريب حولها .[1]

---

(١) أ- صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ٤٧٤-٤٧٧ .

ب- ليفيبر ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ٦٨ .

جـ- فيشر ، هربرت . أصول التاريخ الأوروبي الحديث . ص ٣٤١ .

هذه القضايا الأربع الرئيسة كانت معاول هدم في كيان الكنيسة الفرنسية المتهالك ، هيأتها لمزيد من الصدمات الواقعية المتتابعة ، من : التضييق ، والإجحاف ، والعزل ، حتى انتهت الكنيسة في سنوات الثورة الأولى إلى مجرد شكل بلا حقيقة ولا وزن ، إضافة إلى مسايرتها المفرطة إلى حد وصفها بالردة عن الدين .[١]

وعلى الرغم من شدة العنف تجاه الكنيسة الفرنسية ، واستمرار التضييق عليها ؛ فإن شيئاً يسيراً من الانفراج بدأ منذ عام ١٧٩٥م ،[٢] ثم أعقبه انفراج أكبر عام ١٨٠٣م بعد صلح نابليون بونابرت مع البابا ، حين وجد مصلحته السياسية في ذلك ، فأعلن رسمياً أن دين البلاد الكاثوليكية ، حين وجد ذلك واقع الشعب الفرنسي ، الذي لا يزال – رغم كل هذه الإجراءات – يدين بهذه الديانة ، وبعد عودة الملكيات منذ عام ١٨١٥م بتولي لويس الثامن عشر ، ثم شارل العاشر : تحسن وضع الكنيسة الفرنسية ، وأعيد لها

---

(١) ليفه ، جورج ورولان موسنييه . موسوعة تاريخ أوروبا العام . ج ٣ ، ص ٤٨٣ .

(٢) سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٤٣٣ .

شيء من كيانها المسلوب ، حيث دُعمت وعُززت في مواجهة موجة الإلحاد التي اجتاحت البلاد منذ الثورة ، وبعد تولي لويس نابليون (نابليون الثالث) حكم فرنسا عام ١٨٤٨م تحالف هو الآخر مع الكنيسة ، وأوْلاها شيئاً من العناية الخاصة ، مستغلاً تأييدها لحكمه وزعامته السياسية ،[١] وبذلك بقيت فرنسا كاثوليكية ، ولكن ضمن نمط ديني متسامح إلى حد كبير .

---

(١) انظر : أ- البطريق ، عبدالحميد وعبدالعزيز نوار . التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . ص ٤٥٢-٤٥٣ .

ب- نوار ، عبدالعزيز سليمان . التاريخ الحديث - أوروبا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية . ص ١٢٠ و ١٩١ .

جـ- راشد ، زينب عصمت . تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر . ص ١٤٨ و ٢٦٩ .

المبحث الخامس

أثر الثورة الفرنسية في العالم

إن الناظر في شأن الثورة الفرنسية وأحداثها : العنيفة ، والمتلاحقة ، والمتنوعة ، يعلم أنها لم تكن مجرد شأنٍ داخلي ، بل هي أبعد من ذلك بكثير ، من جهة ما تحمله الثورة ورجالها من أفكار إنسانية تتخطى الفرنسيين ، وآمال عالمية تتجاوز الحدود ، وحماسة قوية تثير النفوس ، وإيمان عميق يصعب كسره .

لقد ملأت الثورة الفرنسية الدنيا ضجيجاً في أواخر القرن الثامن عشر ، لا سيما أثرها القوي والفاعل في دول وشعوب أوروبا ، حتى بلغ شيء من آثارها المشرق الإسلامي في الدولة العثمانية ، فهي امتداد شامل : فكري ، واجتماعي ، وسياسي ، وعسكري ، هيأ العالم لحقبة تاريخية جديدة ، ونمط آخر من النظم الإنسانية ، المبنية على محورية الإنسان ، ومركزيته في الحياة ، باعتباره أسّ النظام الاجتماعي ، وقاعدته الكبرى ، ومنطلقه الأول ؛ حيث يظهر ذلك واضحاً في حقوقه المتضمنة لحريته الواسعة ؛ فهو سيد نفسه ، ومساوٍ

لغيره ، فلا يعلوه أحد إلا القانون ، وعضويته الاجتماعية محترمة ؛ فهو فرد مكون للأمة ، وحقه معتبر في اختيار نوابه المعبرين عن رأيه واجتهاده .

لقد كان لجملة هذه الحقوق وقعها الشديد في أوروبا مرتع الملكيات ، خاصة حينما تشاهد الشعوب الأوروبية تمتع المواطن الفرنسي بعد الثورة بهذه الحقوق ، وتعاين انطلاقته المتحررة من القيود ، واختياراته المفتوحة بغير ضغوط ، إضافة إلى اعتزازه المطلق بالثورة ومبادئها ، كل ذلك كان له أبلغ الأثر في تنبه الملوك الأوروبيين إلى عروشهم المهددة ، ولفت نظر الشعوب الأوروبية إلى حقوقها المسلوبة .

ولعل في تعبير ألبيرسوبول عن الثورة وأثرها ، ومكانتها في الأحداث العالمية : ما يجمع المتناثر من الأفكار حولها ؛ فقد ختم كتابه الطويل عن تاريخ الثورة ، بعد أن أمضى في حديثه عنها قريباً من ستمائة صفحة ، قال في آخر صفحة سطرها من الكتاب : " فالثورة الفرنسية مذ ذاك تقع في قلب تاريخ العالم المعاصر نفسه ، في ملتقى التيارات الاجتماعية والسياسية المختلفة التي تقاسمت الأمم ، و ما تزال تتقاسمها ، فهي ابنة الحماسة ، تلهب الرجال بذكرى صراعاتها في سبيل الحرية

والاستقلال ، كما تلهبهم بحلمها عن الحرية الأخوية ، أو تثير حقدهم ، إنها ابنة النور ، فهي تحصر هجمات الامتياز والتقليد ، أو تسحر العقل بجهدها العظيم في سبيل تنظيم المجتمع على أسس عقلية ، فالثورة – مع كونها موضوع إعجاب دائماً ، وموضوع خوف دائماً – تستمر حية أبداً في وجدان الرجال " . (١)

ويمكن فيما يأتي تلخيص أهم الآثار التي أحدثتها الثورة الفرنسية وتداعياتها في العالم من حولها :

١- فاجأت الثورة العالم على العموم ، وأوروبا على الخصوص بسرعة انبعاثها ، وتمام إنجازها وتفوقها ؛ فكانت كالصاعقة على أوروبا ، أنارتها بنداءاتها وصيحاتها ونجاحها في بضع أسابيع من اندلاعها . (٢)

٢- رفعت الثورة الطبقة البرجوازية المتوسطة من الطبقة

---

(١) سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٥٩٧ .

(٢) أ- حاطوم ، نور الدين . تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا والعالم . ج ١ ، ص ٢٧ .

ب- نهرو ، جواهر لال . لمحات من تاريخ العالم . ص ٧٤ .

العامة الوضيعة إلى سيادة العالم .[1]

٣- شرّعت الثورة الحق في إذلال الأرستقراطية ، وسلبها امتيازاتها وسلطتها ، ورد كل ذلك إلى الشعب ،[2] في مقابل التمكين للطبقة المتوسطة المتعلمة .

٤- فرضت الثورة على العالم المتحضر مضامين وثيقتها لحقوق الإنسان ، المتضمنة للمواد السبع عشرة ، التي تعتبر حصيلة ما توصل إليه العقل البشري آنذاك في مجال الحقوق .[3]

٥- استطاعت الثورة - رغم ظروفها السياسية والاقتصادية والعسكرية الصعبة - أن تتحمس وتنادي بفكرة تصدير الثورة إلى خارج البلاد لتحرير الإنسان ، وإقامة العدل : " الحرب للقصور والسلام للأكواخ " .[4]

٦- أعلنت الثورة الحرب على بعض دول الجوار ،[5]

---

(١) سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٥ .
(٢) المرجع السابق . ص ١٦٤ .
(٣) انظر : سلطان ، عثمان . التاريخ السياسي . ج ١ ، ص ١٥٤-١٥٩ .
(٤) عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ١٧٨ .
(٥) المرجع السابق . ص ١٧٩ .

وخاضت حروباً عدة ، كان لها دورها في تقوية عود الثـورة ، وتمكينها للاستمرار في نهجها ، لا سيما حين استطاعت الصمود لقوى التحالف الأوروبي .[1]

٧- بلغت الثورة بأثرها إلى الدولة العثمانية ، فقد أثارت بنود حقوق الإنسان بعض المفكرين العثمانيين ؛ فناقشوا بعض مبادئها ، حتى أخذت بعضها في الاعتبار عند سن بعض القوانين الجديدة عام ١٨٥٦م ، وقيل إن الحركة القومية التي قامت ضد الدولة العثمانية تأثرت بالثورة الفرنسية ،[2] إضافة إلى بلوغ جيوش الثورة الأراضي العثمانية بقيادة نابليون بونابرت حين غزا مصر وفلسطين .[3]

٨- دفعت الثورة دول أوروبا إلى تكوين جبهة تحالف وتكتل أوروبية ضد أطماع فرنسا العسكرية ، وآمالها الثورية

---

(١) ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ٣٦٠-٣٦٦ .

(٢) سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٨٥-٨٨ .

(٣) انظر : أ- نوار ، عبدالعزيز سليمان . التاريخ الحديث - أوروبا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية . ص ١١٧-١١٨ .

ب- جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ٢٢٨-٢٣٠ .

والفكرية .[1]

٩- استطاعت الثورة أن تنبه الشعوب الأوروبية إلى حقوقها المسلوبة في ظل الأنظمة الملكية المستبدة .[2]

١٠- تمكنت الثورة من إثارة اهتمام الشعوب الأوروبية ، حتى أصبحت محور اهتماماتهم ، فأخذ السيَّاح والمفكرون والمهتمون يتوافدون على فرنسا من كل مكان ، يتلمَّسون بأنفسهم حجم التغيير الشامل الذي حدث فيها .[3]

١١- استقطبت الثورة العديد من اللاجئين السياسيين ، والفارين من الاضطهاد السياسي من بعض دول الجوار ، ومكنتهم من التكتل والعمل في جمعيات وأندية خاصة بهم .[4]

١٢- بعثت الثورة في أوروبا الفكرة القومية ، مما أثار عواطف وحماس الشعوب الأوروبية الأخرى إلى قومياتهم الخاصة ، فأخذوا ينبشون سجلاتهم التاريخية عن أمجادهم

---

(١) ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ٣٦٠-٣٦٦ .
(٢) المرجع السابق . ص ٣٦٠-٣٦٦ .
(٣) موسنييه ، رولان وآخران . القرن الثامن عشر – عهد الأنوار . ج ٥ ، ص ٥١٦-٥١٧ .
(٤) ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ٢٠٦-٢٠٧ .

الوطنية ، و مآثرهم الشعبية ، وأدوارهم السياسية ، وإنجازاتهم الحضارية ، [1] لتكون حوافز لنهضة جديدة ، تشبه إنجاز الفرنسيين .

١٣- تسببت الثورة في صناعة مناخ ثوري بعث العديد من الثورات في مختلف مناطق القارة الأوروبية ، حتى ما تكاد تمر سنة إلى أواخر القرن التاسع عشر إلا وتتخللها ثورة . [2]

١٤- أصبحت الثورة – من خلال مبادئها وأحداثها – نقطة تحول كبرى في النظم السياسية والاجتماعية في أوروبا والعالم أجمع خلال القرنين الأخيرين . [3]

١٥- تمركزت الثورة لتكون نقطة التحول الرئيسة من النظام الإقطاعي الضيق إلى النظام الرأسمالي المنفتح ؛ حيث عملت على تهديم بنى وقواعد النظام الإقطاعي ، في مقابل التمهيد للحرية الاقتصادية ، والتأسيس لظهور

---

(١) صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ٦٥٠ .

(٢) حاطوم ، نور الدين . تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا والعالم . ج ١ ، ص ٢٦-٢٧ .

(٣) نوار ، عبدالعزيز سليمان وعبدالمجيد نعنعي . التاريخ المعاصر . ص ١٩ .

الرأسمالية .[1]

والنـاظر في مجمـل هـذه الآثـار الـتي أحـدثتها الثـورة الفرنسية وخلفتها في العالم من حولها : يجـدها شـاملة تحمـل صفة العموم ، ويجدها أيضـاً مسـتمرة تحمـل صـفة الاتسـاع والانتشار ، لا كغيرهـا مـن الثـورات المحصـورة في الأمـاكن والحدود ، ولئن كانت بعض دول الشرق الأقصـى في غفلـة عن هذه الثورة ؛[2] فإن صداها قد بلغ العالم كله ،[3] سواء في وقت صراعات الثورة وتفاعلاتها ، أو بعد ذلك بـحين ، وسواء من خلال أثرها المباشر ، أو من خلال أفكارها السيارة ؛ إذ إن فكرة الحقوق الإنسانية مثيرة وجذابة للجميع ، من قِبَل كل الفئات والأعراف ، فهي بذلك ثورة فرنسية بمواصـفات عالمية .

---

(١) سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٥٣٣-٥٣٤ و ٥٩٤ .

(٢) انظر : ليفير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص (مقدمة المترجم) .

(٣) الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٣٢-٣٣٣ .

المبحث السادس
علاقة اليهود بالثورة الفرنسية

من خلال ما تقدم من : ممهدات الثورة ، وأحداثها ، ومبادئها ، وموقفها من الكنيسة ، وما رافق ذلك من تفاعلات وصراعات : لا يلحظ الناظر للوهلة الأولى وجود عناصر أخرى في المسرح الداخلي للأحداث الفرنسية ، غير تلك العناصر الحاضرة في ساحة الصراع ، والمتفاعلة مع الأحداث ، من قادة الثورة البرجوازيين ، وأحزابهم المتنافسة ، والطبقة الأرستقراطية المنهزمة ، إضافة إلى القاعدة الشعبية الثائرة من الباريسيين والفلاحين .

إلا أن عين الرصد المتأملة للأحداث ، والمحللة للوقائع ، والمتابعة لتطورات الثورة وتداعياتها : تتلمّس اليد اليهودية الخفية ، تتخلل أحداث الثورة ، وتشارك صناعتها ، وتدير – في كثير من الأحيان – دفّتها ؛ فقد جزم غير واحد [1] من

---

(١) مثل : أ- رضا ، محمد رشيد . تفسير المنار . ج ٥ ، ص ١٣٩ .
ب- الدوسري ، عبدالرحمن محمد . اليهودية والماسونية . ص ٤٦ .
جـ- فريج ، غازي محمد . النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة . ص ١٦٧-١٧٠ .
د - كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ١٢ و ١٠٥ و ١١١-١١٢ .
هـ- وفيتش ، شريب . حكومة العالم الخفية . ص ٨٠-٨١ و ٩٢ .

المهتمين بالشأن اليهودي : تورط المحافل الماسونية ، بالأخص فئة النورانيين منهم ، أو من يسمّون بحملة النور : [(١)] في الثورة الفرنسية ، إعداداً لها ، وإسهاماً في تنفيذها ، وقطفاً لثمار نتائجها ، فقد صرّحوا بذلك في البروتوكولات ، [(٢)] وأعلن مجلس النواب الفرنسي عام ١٩٠٤م هذه الحقيقة على الملأ ، المتضمنة للدور الماسوني في صناعة الثورة الفرنسية ، فقابل النواب الحاضرون هذا الإعلان بالقبول والإقرار دون نكير . [(٣)]

ولم تكن الثورة الفرنسية بأول أو آخر مفاسد اليهود ؛ إذ إن الحروب والثورات ، وإثارة القلاقل منهجية يهودية ، درج عليها المفسدون منهم منذ الزمن الأول ؛ فقد قال الله تعالى عنهم : ﴿... كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ ، [(٤)] والسيرة النبوية

---

(١) أسست جماعة النورانيين عام ١٧٧٦م على يد وايزهاويت ، لغرض الوصول إلى حكومة عالمية تحكم العالم ، وتحقق أغراض اليهود التدميرية . انظر : كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ٩-١٠ .

(٢) انظر : بروتوكولات حكماء صهيون . ص ٤٦ .

(٣) كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ١١٢ .

(٤) المائدة ٦٤ .

حافلة بتسجيل وقائع إفسادهم في الأرض ، ابتداء من إثارة قبيلتي الأوس والخزرج للحروب الطاحنة قبل البعثة ، وانتهاء بمخازيهم المتكررة مع النبي الكريم محمد ﷺ . [1]

وقد سبق لليهود التورط في الثورة البريطانية ما بين ١٦٤٠م-١٦٤٩م ، ثم إغراء البريطانيين بالحرب ضد استقلال المستعمرات الأمريكية ، والسعي في تطويق بريطانيا بالديون ، ومن ثمَّ العمل على تفكيك إمبراطوريتها الكبيرة ، [2] ولم يتركوا الأمريكيين ليستمتعوا باستقلالهم حتى أسهموا في إشعال الحرب بين الشمال والجنوب ، وتمكنوا من الوصول إلى بطل استقلالهم لينكولن فاغتالوه . [3]

والعجيب أن اليهود تمكنوا من بريطانيا بعد أن عادوا

---

(١) انظر : أ- ابن القيم . زاد المعاد في هدي خير العباد . ج ٣ ، ص ٦٥ و ١٢٧-١٣٦ و ١٩٠-١٩٢ و ٣١٦-٣٣٩ .

ب- هارون ، عبدالسلام ، تهذيب سيرة ابن هشام . ص ١٤٠-١٤٣ و ١٧٤-١٧٥ و ٢٠٥-٢٣٥ و ٢٦٠-٢٦٦ .

(٢) كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ٧٥ و ١٢٣ .

(٣) وفيتش ، شريب . حكومة العالم الخفية . ص ١٨٢ .

إليها عام ١٦٠٠م ، من خلال شبكات سرية خفية ، بعد أن طُردوا منها ، ومن العديد من دول أوروبا بسبب فسادهم ، ليعيشوا في مجتمعات صغيرة منعزلة في شرق أوروبا ، [١] فأسسوا – حين عادوا إلى بريطانيا – بعض المحافل الماسونية منذ عام ١٧١٧م ، وكان أول محفل ماسوني تأسس في فرنسا عام ١٧٣٤م ، وقد سبق دخول الماسونيين إلى فرنسا ما بين عاميْ ١٧٢١م–١٧٢٥م ، عن طريق بريطانيا ، وقد تنبّه البابا كلمنت الثاني عشر (ت ١٧٣٨م) لخطر المحافل الماسونية ، فحظر الانضمام إليها ، أو التعاون معها ، فلاقت الماسونية ، وأنشطتها المشبوهة – في أول الأمر – ممانعة من البابوية ، [٢] إلا أنها لم تلبث طويلاً – في نحو نصف قرن – حتى تمكنت وتقوّت ؛ ففي عام اندلاع الثورة الفرنسية

---

(١) كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ٦٠-٦٣ .
انظر أيضاً : أ- آل عمر ، محمد علي . عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين – عرض ونقد . ص ٦٧ .
ب- التل ، عبدالله . خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية . ص ١٠٨-١١٤ .

(٢) أ- سلطان ، عثمان . التاريخ السياسي . ج ١ ، ص ٧٥ .
ب- ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٤٥٥-٤٥٦ .

سنة ١٧٨٩م كان في فرنسا وحدها ما يزيد عن ألفي محفل ماسوني ، تضم مائة ألف عضو ، فاستغل النورانيون هذه الوفرة العددية لتأسيس لجان سرية داخل هذه المحافل للإعداد للثورة وتنفيذها ؛ فإن معظم مرشدي الثورة كانوا من أنصار المحافل الماسونية الفرنسية ، والعجيب أنه قد سبق لفرنسا أن طردت اليهود عام ١٢٥٣م ، فلجأوا إلى بريطانيا ، ثم طُردوا من هذه الأخيرة مرة أخرى ، [١] ليعودوا من جديد بوجه آخر ، ويظهروا بقوة في القرن الثامن عشر ، ولا يخفى على المطلع تمكن اليهود بعد ذلك ، لا سيما في أواخر القرن العشرين ، وبدايات القرن الواحد والعشرين ؛ إذ أصبح لهم نفوذ وسيطرة ، وقوة عسكرية ضاربة ، ودعم دولي لم يسبق له مثيل ، إلا أن يكون في عصر النبيين داود وسليمان عليهما السلام . [٢]

---

(١) أ- سلطان ، عثمان . التاريخ السياسي . ج ١ ، ص ٧٦ .
ب- كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ٥٧-٦٠ و ٩٢ .

(٢) انظر : أ- آل عمر ، محمد علي . عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين - عرض ونقد . ص ٤٠ و ١١١-١٦٣ .
ب- كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ١١٥ .

لقد احتضنت المحافل الماسونية - بوسائلها الخاصة - كثيراً من رجال الثورة الفرنسية ، سواء من القادة الكبار مثل ميرابو ، أو الشباب الساقط المتهور ، وعملت على تجنيدهم لإشعال الثورة ، وبثت فيما بينهم شعار الحرية ، الذي قصدت إليه الثورة ؛ فقد نشطت المحافل الماسونية لنشر هذا الشعار ، رغم أن اليهود هم أكفر الناس به .[(١)]

كما أسهم المرابون اليهود في الإعداد لخطة محكمة تهدف إلى دفع الشعب الفرنسي نحو الثورة ، من خلال التضييق الاقتصادي ، وإفلاس الحكومة ، ومن ثمَّ تجويع الشعب ودفعه نحو المظاهرات والفوضى العامة ، إضافة إلى تشويه صورة الملك وزوجته ماري أنطوانيت لدى العامة ، وإثارة الأحقاد ضد الأسرة الحاكمة ، والعجيب أن جمعاً من الوثائق التي تدين المحافل الماسونية بالتخطيط لتخريب البلاد انكشفت للحكومة الفرنسية آنذاك ، إلا أنها لم تتخذ تجاهها

---

(١) أ- سلطان ، عثمان . التاريخ السياسي . ج ١ ، ص ٧٢ .

ب- كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ٨١ و ٩٠-٩١ و ٩٤ .

جـ- ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ٧٢-٧٣.

إجراءات حاسمة ، [1] مما مكّن للثورة أن تتجه في المسار الذي أريد لها .

ولما اندلعت الثورة عملت المحافل الماسونية الفرنسية على الدعاية لها ، والترويج لمبادئها ، وترجمت وثيقة إعلان حقوق الإنسان التي اعتمدتها الثورة إلى عدة لغات ، والتي أصبحت فيما بعد رفيقة للمتحررين التقدميين . [2]

لقد قصدت الماسونية – من خلال الثورة الفرنسية – إلى تحقيق هدفين اثنين :

الهدف الأول: هو إراقة الدماء ؛ فأعمال القتل والتنكيل جزء أصيل في الثقافية اليهودية ، [3] وقد برز ذلك واضحاً من خلال تمكين حزب اليعاقبة الإرهابيين من قيادة الثورة في أول أمرها ، والتصرف في مقدرات الشعب ، فكان عهد الإرهاب بقيادة روبسبير ، ودانتون ، ومارا ونحوهم ، حيث تخلصوا فيه من الملك لويس السادس عشر وزوجته ،

---

(١) كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ٧٨ و ٩٥-١٠١ .

(٢) كروزيه ، موريس وآخرون . تاريخ الحضارات العام . ج ٥ ، ص ٥١٦ .

(٣) انظر : فريج ، غازي محمد . النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة . ص ٢٢٩-٢٦٧ .

وجمع هائل من القيادات الشعبية من النبلاء والرهبان ، ومن زعماء الثورة أيضاً ، فلم يزد قادة الإرهاب على أن كانوا أدوات طيِّعة في يد النورانيين الماسونيين ، ينفذون أغراضهم ، ويحققون مقاصدهم ، ولما تنبَّه روبسبير لليد اليهودية الخفية التي عبثت به وبالثورة : كان مصيره إلى المقصلة كغيره .[1]

الهدف الثاني : هو تحطيم الكنيسة وكل ما يرتبط بها ، ويتقوى ويستند إليها ؛ فإن إفساد الأديان ، ومن ثم إلغاءها ، ونشر الفكر الإلحادي ، كلُّها مرادات مقصودة ، وأهداف مطلوبة للماسونيين ، يعملون جادين على تحقيقها ، من خلال فوضى الثورات ، التي تعمل على تهديم النظم الحضارية القائمة على الإيمان بالله ، واستبدالها بغيرها من النظم العلمانية ، ولقد أفسحت لهم الثورة الفرنسية الميدان لتحقيق هذه الأهداف ، وقد كان بإمكان الثورة الوقوف عند حدّ تقييد صلاحيات الملك ، وضبط تصرفات رجال الدين ، فقد تحقق لهم ذلك ، إلا أن اليد الخفية أرادت ما هو أبعد من

---

(١) انظر : أ- كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ١٠٠-١٠١ و ١٠٤ و ١٠٧ .
ب- وفيتش ، شريب . حكومة العالم الخفية . ص ٨٦-٨٩ .

ذلك ؛ وهو إلغاء الدين المسيحي وما ارتبط به وتآزر معه من الحكم الملكي ، والنظام الإقطاعي ، والأرستقراطية في العموم ، والمتأمل في أحداث الثورة وما أعقبها لا يجد شيئاً كبيراً تحقق من شعارات الثورة البراقة في واقع الحياة الشعبية ، إنما هي : المظالم ، والمآسي ، والتسلط السياسي .[1]

والعجيب في شأن اليهود : أنه رغم شتاتهم في الأمصار ، وكونهم أقليات اجتماعية مبعثرة في البلدان ، كما وصف الله تعالى : ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ...﴾[2] ، فقد كانوا

---

(١) انظر : أ- صالح ، محمد محمد . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . ص ٥٧٨-٥٧٩ .

ب- فريج ، غازي محمد . النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة . ص ١١٥-١٤١ .

جـ- نويهض ، عجاج . بروتوكولات حكماء صهيون . ج ١ ، ص ٣١٦ و ٣٢٠ .

د - كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ٤٧ و ٨٩ و ٣٢٣ .

هـ- وفيتش ، شريب . حكومة العالم الخفية . ص ٨٢-٨٤ .

و - بروتوكولات حكماء صهيون . ص ٥٨ و ١٢٧.

(٢) الأعراف ١٦٨ .

– رغم ذلك – عناصر للحركة والتجديد ، [1] حين تشرذموا على أنفسهم ، وتحوصلوا على ذواتهم ، وعملوا على أن يجعلوا من الشتات قوة تمكنهم من جميع الأقطار ، وتبث نفوذهم في كل مكان ، وقد جاء في البروتوكولات : " من رحمة الله أن شعبه المختار مشتت ، وهذا التشتت الذي يبدو ضعفاً فينا أمام العالم : إنه كلُّ قوتنا التي وصلت بنا إلى عتبة السلطة العالمية " . [2]

ولقد تتوّج مكر اليهود الصهاينة بالثورة الفرنسية حين اتخذوها مطية للوصول إلى الأرض المقدسة في فلسطين (أورشليم) ؛ فقد صنعوا من نابليون بونابرت رأس حربة للحرب والقتال ، اخترقوا به البحار والقفار ، حتى بلغ مصر ثم فلسطين ، تمهيداً لزرع الكيان اليهودي البغيض على أرض فلسطين ، في مقابل الدعم المالي اليهودي لفك أزمات فرنسا الاقتصادية ، وقد كانت حكومة الإدارة الفرنسية أول من طرحت فكرة توطين اليهود في فلسطين ؛ فقد أعدت عام

---

(١) ليفير ، جورج . عصر الثورة الفرنسية . ص ٦٦ .

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون . ص ٨٧ .

١٧٩٨م خطة سرية لإقامة كومنولث يهودي على أرض فلسطين ، [١] إلا أن الله رد نابليون ومن وراءه خائباً عن المشرق الإسلامي في تلك الفترة .

ولم يكن نابليون مخلصاً لبلده بقدر ما كان مخلصاً لنفسه وأمجاده الخاصة ، فقد كان أداة طيِّعة في أيدي النورانيين حين كان عضواً ماسونياً مرموقاً في المحافل الماسونية الفرنسية ، يعمل في مصالحهم وتحقيق أهدافهم ، مقابل دعمهم المالي له ، فقد وافقهم على مقاطعة البابا ، والإعراض عن الكنيسة ، وإشعال الحروب المدوية في أوروبا والمشرق الإسلامي ، حتى إذا خارت قواه ، وضعف عن مجاراة رغبات النورانيين ،

---

(١) انظر : أ- مورو ، محمد ، تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية إلى الثورة . ص ٤٣ .

ب- محمود ، أمين عبدالله . مشاريع الاستيطان اليهودي منذ الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . ص ١٤-١٥ .

جـ- سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٥٣ .

د - كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ١٠٨ .

وثاب إلى رشده ، بعد تماديه في تحقيق مقاصد الماسونيين وأهوائهم : تنكروا له – كعادة اليهود مع الناكصين من عملائهم – وعملوا على إحراجه ، وإسقاطه ، ومحاولة اغتياله ، [1] حتى انتهى به المطاف السياسي إلى النفي والإبعاد .

ولعل الكشف عن هذه العلاقة بين الثورة الفرنسية واليهود يفسِّر تحامل الثورة المفرط على الدين ، وتوضح سبب اندفاع نابليون وزحفه نحو بلاد المسلمين ، ونحو فلسطين على الخصوص ، التي تعد غاية مراد الصهاينة اليهود .

---

(١) انظر : أ- محمود ، أمين عبدالله . مشاريع الاستيطان اليهودي منذ الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . ص ١٧ .
ب- وفيتش ، شريب . حكومة العالم الخفية . ص ٩٤-١٠٦ .
جـ- كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ١٠٩-١١١ .

المبحث السابع

أسباب نجاح الثورة الفرنسية

لقد أنجزت الثورة الفرنسية مهمتها بأعجوبة ، من جهة الزمن القياسي القصير ، ومن جهة تحقيق الأهداف السياسية ، ومن جهة التكتل الشعبي العام ؛ فقد اجتمع لهذه الثورة من الظروف : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والفكرية ما لم يجتمع لغيرها من الثورات ؛ مما هيأ لها مناخات ملائمة للحركة السياسية والاجتماعية ، ومهّد أمامها الطريق نحو النجاح بتفوق .

ومن خلال الاستقراء يمكن إجمال الأسباب الرئيسة التي كانت وراء نجاح الثورة الفرنسية وتفوقها ، وذلك على النحو الآتي :

١- إفلاس الحكومة الفرنسية المالي والإداري ، وعجزها عن أن تقدم حلاً لمشكلاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المزمنة ؛ مما هيأ للطبقة البرجوازية أن تضطلع بدور ريادي في عملية الإصلاح .[1]

---

(١) انظر : الموسوعة العربية الميسرة والموسعة . ج ٣ ، ص ١٢٩١ .

٢- ضعف شخصية الملك لويس السادس عشر ، وعجزه عن احتواء الأزمة المتفاقمة .[١]

٣- ظهور الطبقة البرجوازية المتعلمة والماهرة والمتنورة ، وسيطرتها على عدد كبير من الوظائف الحكومية السفلى والوسطى .[٢]

٤- اعتماد الثورة على الخطاب العقلي المقنع ، والنقاش المنطقي الناضج ، القائم على رصيدها الوافر من أفكار وآراء فلاسفة عصر التنوير .[٣]

٥- إغراء الشعب الفرنسي المحروم بإعلان المبادئ العادلة ، القائمة على أساس عقلي ومنطقي ، وإطلاق الشعارات العاطفية المثيرة : الأمة ، الحرية ، الإخاء ، العدالة ، المساواة ، فجمعت الثورة بين النضج الفكري والحماسة

---

(١) انظر : أ- سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٨٥ .
ب- ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٤٥٧-٤٥٨ .

(٢) انظر : أ- سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٥٥ .
ب- عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ٦١ .

(٣) انظر : أ- نهرو ، جواهر لال . لمحات من تاريخ العالم . ص ٧٥-٧٦ .
ب- سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ١٣-١٤ .

العاطفية .[1]

٦- سعي الثورة في مخاطبة الجماهير المختلفة بلغة فرنسية واحدة يفهمها الجميع ، بعيداً عن اللهجات المحلية الضيقة .[2]

٧- مساندة الشارع العام للثورة في المدينة والقرية والريف ، والوقوف معها ، والمناداة بشعاراتها ، وتحمُّل الأذى والموت في سبيل نجاحها ، فاستطاعت الطبقة البرجوازية صهر الشعب في قالب واحد ، ضمن مفهوم الأمة الواحدة ، مستغلة السخط الشعبي في شل حركة الجيش ، والإجهاز على نظام الإقطاع ، فهي ثورة برجوازية بمساندة شعبية .[3]

---

(١) انظر : أ- الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٥٥ .

ب- نهرو ، جواهر لال . لمحات من تاريخ العالم . ص ٧٦ .

جـ- ليفيير ، جورج . عصر الثورة الفرنسية . ص (مقدمة المترجم) .

(٢) سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٥٧٧ .

(٣) انظر : أ- ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٤٥٤ .

ب- سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٩٦ و ٥٧٣ و ٥٨١ و٥٩٥ .

٨- تمكُّن الثوار من حيازة السلاح والذخائر ؛ مما مكنهم من مواجهة القمع العسكري بتفوق ، إلى أن اضطر الجيش للحياد بأمر الملك ، خوفاً من اتساع رقعة الصراع في البلاد .[١]

٩- تعاطف بعض فئات من طبقة النبلاء ، وبعض صغار رجال الدين ، وأعداد من رجال الجيش مع الثورة ومبادئها .[٢]

١٠- دعم الصحافة لمبادئ الثورة ، ونشر أفكارها ، وتأييد اتجاهاتها ، والتبرير لآرائها .[٣]

١١- دعم المحافل الماسونية للثورة ، ونشر مبادئها ، وإمدادها بالقادة المشرفين والمال .[٤]

١٢- سرعة نشوب الثورة وانطلاقها بقوة ، وتتابع

---

(١) المرجع السابق . ص ١٢٢-١٢٤ .

(٢) موسنييه ، رولان وآخران . القرن الثامن عشر - عهد الأنوار . ج ٥ ، ص ٤٠٨-٤١٠ .

(٣) المرجع السابق . ص ٤٦٩-٤٧٠ .

(٤) كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ٧٩ و ٩٠-٩١ و ٩٤ و ١٠٤ .

أحداثها بسرعة مذهلة ، ضمن وقائع متتالية ؛ مما أعجز الحكومة عن مواجهتها ، أو السيطرة عليها .[1]

١٣- بلوغ الثورة بعض أهدافها في فترة زمنية قياسية ، لا تتجاوز أربع سنوات ؛ حيث أجهزت فيها بالكلية على النظام الملكي القديم وتوابعه ، وحققت إنجازات أخرى كبيرة مثل : إعلان حقوق الإنسان ، واعتماد الدستور ، وإلغاء مجلس الطبقات ، وتحجيم سلطة الملك ثم إعدامه ، ومشاركة الشعب الفعلية في صنع القرار السياسي ، وتمكن الطبقة البرجوازية من زمام الدولة ؛ مما عمل - في مجموعه - على ترسيخ أفكار الثورة ومبادئها ، والتمكين لرجالها .[2]

١٤- صمود الثورة وثباتها لسنوات في مواجهة المؤامرات الداخلية والخارجية ، ونجاحها في صدِّ العديد من الاعتداءات العسكرية ، وخوضها بنجاح الحروب التي شنتها على بعض دول الجوار .[3]

---

(١) انظر : ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٣٠٩ .

(٢) راجع المبحث الثالث .

(٣) انظر : أ- ليفيير ، جورج . عصر الثورة الفرنسية . ص ٤٣٩ .
ب- نهرو ، جواهر لال . لمحات من تاريخ العالم . ص ٨٧-٩٠ .

١٥- نجاح الثورة الأمريكية ، وإعلان استقلالها عام ١٧٨٢م ؛ مما كان له أثره الإيجابي في بعث الثورة الفرنسية ، ودعم رصيدها من الحماسة والإثارة .[1]

والناظر في النقاط الماضية يجدها ظروفاً وأحداثاً ووقائع مواتية ، اجتمعت لنجاح الثورة ، وبلوغها العديد من أهدافها ، ولا شك أن قضاء الله تعالى غالب في التمكين لهذه الثورة ، وتهيئة الظروف المختلفة لنشر مبادئها وآرائها ؛ لتكون – بعد ذلك – مواداً أساسية في دساتير العالم الحديث ، يتغنى بها الثوار والمتحررون في كل مكان .

---

(١) راشد ، زينب عصمت . تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر . ص ٢١ .

المبحث الثامن

تقويم إنجازات الثورة الفرنسية

بعد الحديث المتشعِّب عن الثورة الفرنسية في : ممهداتها ، وأحداثها ، ومبادئها ، وأثرها ، وموقفها من الدين والكنيسة ، وعلاقتها باليهود الماسونيين : يتمحور الحديث في هذا المبحث عن تقويم إنجازات الثورة ، سواء الإيجابية منها أو السلبية ؛ فالثورة الفرنسية بكل ما حملته من إثارة وإعجاب وقعت في مفاسد عظيمة ، وإخفاقات كبيرة ، تفتقر إلى تقويم في ضوء المفاهيم التربوية الإسلامية ، لا سيما وأن الثورة أفرزت فكراً عابراً للقارات ، ونشرت فلسفة تخطَّت بها حدودها الجغرافية ، وتجاوزت بها لغتها القومية ، خاصة في هذا العصر الذي لم يعد فيه سر يُحفظ ، ولا خبر يُستر ، فلم تترك العولمة الثقافية لأحد خصوصية ينفرد بها ، أو يتشرذم عليها ، فكان لزاماً تخصيص هذا المبحث لعملية التقويم .

وسوف تنقسم العملية التقويمية إلى قسمين : الأول عن مميزات الثورة ، وهو جانبها الإيجابي ، والثاني عن إخفاقاتها ، وهو جانبها السلبي ، وذلك على النحو الآتي :

أ - مميزات الثورة :

١- نجحت الثورة - في فترة قصيرة جداً - في تحقيق العديد من أهدافها ، التي عجزت عن مثلها كثير من المجتمعات الإنسانية .

٢- تمثل الثورة الفرنسية ثورة العقل الأوروبي على نظام السخرة والاستعباد والظلم ، ممثلاً في الملَكية المستبدة ، والكنيسة المستغلة ، ونظام الإقطاع الجائر . [١]

٣- تمتاز وثيقة حقوق الإنسان الفرنسية عن الدساتير الأوروبية والأمريكية التي سبقتها بصياغتها العالمية ، وخطابها العام ، وأهدافها الإنسانية الواسعة ، متخطية بذلك حدودها الجغرافية المحلية ، وأصولها العرقية والإثنيَّة . [٢]

٤- الثورة الفرنسية صراع بين الطبقات ، امتازت

---

(١) انظر : أ- الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٣٨ .

ب- ليفه ، جورج وورولان موسنييه . موسوعة تاريخ أوروبا العام . ج ٣ ، ص ٦٤ و ٦٧ .

(٢) البطريق ، عبدالحميد وعبدالعزيز نوار . التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . ص ٣٧٩ .

بأنهـا برجوازيـة وديمقراطيـة بشـكل واسـع ، وليسـت برجوازيـة محافظـة بشـكل ضـيق ، كـالثورتين السـابقتين : البريطانية والأمريكية .[1]

٥ - توافـق غالـب بنـود وثيقـة حقـوق الإنسـان الفرنسـية مع مضامين الشـريعـة الإسلامية .[2]

ب - إخفاقات الثورة :

١ - أغفلت الوثيقة الحديث عن واجبات الإنسان ، رغم مناداة بعض القساوسة بذلك ، وهذا من شـأنه إثارة الأنانيـة والأثرة في الإنسـان ، فيندفـع الكل مطالباً بحقوقـه ، مغفـلاً القيام بواجباته ،[3] والشريعة الإسلامية تقدِّم القيـام بالواجبـات على المطالبة بالحقوق ، كما قال رسول الله ﷺ : « إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها ، قالوا : فما تأمرنا يـا رسـول الله ؟ قال : أدُّوا إليهم حقهم ، وسَلُوا الله حقكم » .[4]

---

(١) سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ٥٩٥ .

(٢) انظـر : المرزوقـي ، إبـراهيم عبـدالله . حقـوق الإنسـان في الإسـلام . ص ٥٣٥-٥٤٤ .

(٣) عوض ، لويس . الثورة الفرنسية . ص ٧٦ .

(٤) البخاري . صحيح البخاري . رقم (٦٦٤٤) . ج ٦ ، ص ٢٥٨٨ .

٢- لم تشمل الوثيقة الحديث عن حقوق كل من : الملونين الأجانب ، والأقليات الدينية والعرقية ، وسكان المستعمرات الفرنسية ، وإبقائها على نظام الرق ، إضافة إلى حرمانها غير المالكين للأراضي من حق التصويت .(١)

٣- خالفت حكومة الثورة بعض مبادئها حين لم تعط الملك حقه في محاكمة عادلة .(٢)

٤- اصطدام حكومة الثورة بالواقع السياسي الصعب ، فانطلاق رجال الثورة في التصفية الدموية بعضهم لبعض ، في صور مأساوية ، غاب فيها العقل الذي طالما تنادى به قادة الثورة ، فتحولت فرنسا من استبداد الملوك إلى استبداد الزعماء ، فهي دكتاتورية على أساس ديمقراطي ، وهذه أخطر من الدكتاتورية التقليدية ؛ لأنها تقوم على أساس الرضا بالاستبداد الجديد ، الذي تدعمه الجماعة والقانون ، مما يجعل الجميع في قبضة السلطة دون نكير

---

(١) انظر : أ- سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ١٦١-١٦٢ .
ب- ليفيير ، هربرت . عصر الثورة الفرنسية . ص ١٧٦ .

(٢) انظر : الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٥٣ .

أو عوائق .[1]

٥- سعي حكومة الثورة إلى استغلال الصحافة لصالحها ، وتقييد بعض حرياتها .[2]

٦- حظر حكومة الثورة جميع التنظيمات والتجمعات العمالية عام ١٧٩١م .[3]

٧- فتك القائد نابليون بدول الجوار في أوروبا ، وتسلطه على مصر ، وبلوغ بطشه إلى فلسطين ، حتى وصف بجنكيز خان ، مخالفاً بذلك مواثيق الصداقة وحسن الجوار مع الدولة العثمانية ، التي لم تظن أن تبلغ الثورة هذا المبلغ ، والتي احترمت بدورها مواثيقها الدولية ؛ فلم

---

(١) انظر : أ- جلال ، حسن . الثورة الفرنسية . ص ٢٢ .
ب- الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٥٥-٣٥٦ .
جـ- سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٣٧-٣٨ .
د - ليفه ، جورج ورولان موسنييه . موسوعة تاريخ أوروبا العام . ج ٣ ، ص ١٢١-١٢٢ .

(٢) سوبول ، ألبير . تاريخ الثورة الفرنسية . ص ١٦١ .

(٣) ديورانت ، ول . قصة الحضارة . ج ٤٢ ، ص ٤٥٤ .

تتعرض للتجار الفرنسيين ، الذين كانوا يجوبون أراضي الدولة العثمانية بتجاراتهم آمنين ، في الوقت الذي كانت قوات نابليون تدكُّ فيه مصر .[1]

٨- استخدام نابليون نهج النفاق الديني في أبشع صوره مع الشعب المصري ؛ فقد كان يستشهد بالقرآن والسنة وأصول الدين ليسوغ بذلك جرائمه البشعة في حق المسلمين ، حتى كادت تنطلي على الناس فرية إسلامه ؛ فقد كان يخاطبهم ويراسلهم بلغة عربية إسلامية صرفة ، يخلّط بها على الناس ويلبِّس عليهم ، فانبرى له ولجيشه الغاشم المجاهدون الأبطال ، فعاد على أعقابه بعد ثلاث سنوات من الجهاد والكفاح المسلح ، ثم أعقب ذلك العديد من المواقف السياسية المخزية للحكومة الفرنسية تجاه فساد الإنجليز في مصر ، ودعمها للدكتاتورية العربية فيها آنذاك ، وتحريضها على إلغاء البرلمان الذي يعبِّر عن الشعب ، إضافة إلى تضييق

---

(١) انظر : أ- مورو ، محمد . تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية إلى الثورة . ص ٤٥-١١٨ و ١٥١ .

ب- سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٢٩ و ٩٤-٩٦ و ٩٩-١٠١ و ١٤٠ .

الحريات ، وهذا كلُّه مخالف لأبجديات حقوق الإنسان ، التي ثارت من أجلها فرنسا .[1]

٩- استغلال نابليون قضية المرأة ، فأخذ يدعو إلى تحرير المرأة المصرية ، فعبث هو وكثير من رجاله ببعض النساء الساذجات ، واحتالوا للزواج من بعضهن ، وحصل في البلاد - منِ جراء ذلك - فساد اجتماعي وخلقي كبير .[2]

١٠- عودة الملكية إلى فرنسا مع شيء من التهذيب بعد سقوط نابليون ، رغم كل تضحيات الثورة ، ورغم إعدام الملك لضمان عدم العودة إلى الوراء ، ومع ذلك عادت الملكية من

---

(١) انظر : أ- الجبرتي ، عبدالرحمن . تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار . ج ٢ ، ص ٢٣٨-٢٣٩ و ٢٥٥ و ٢٥٩ و ٢٧١ .

ب- مورو ، محمد . تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية إلى الثورة . ص ٢١٥ و ٤٤٠ و ٤٥٨-٤٦٠ و ٥٠٧ و ٥٦٣-٥٧٢ .

جـ- سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ١٣١-١٣٣ .

(٢) انظر : أ- الجبرتي ، عبدالرحمن . تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار . ج ٢ ، ص ٤٣٦-٤٣٧ .

ب- مورو ، محمد . تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية إلى الثورة . ص ١٧١-١٧٥ .

جديد .[1]

١١- رغم أن الكنيسة لم تكن عائقاً كبيراً في طريق التغيير : إلا أن الثورة حاربتها بلا هوادة ، وعزلت تأثيرها عن الحياة العامة ، معلنة بذلك علمانية الدولة برفضها سلطان الله على الناس ، وبفصلها الدين عن الدولة ، ومن ثمَّ عن الحياة ، فقد كان النداء زمن الثورة عالياً : " الحكومة للأحياء وليست للأموات " ، متنكرة بذلك للتقاليد والتاريخ ، فكان هذا الإجراء سبباً في دفع كثير من الناس نحو نقد الدين وأهله ، ونشر الإلحاد في المجتمع ، ومع ذلك لم تتمكن الثورة من إقصاء الدين بالكلية عن حياة الناس .[2]

---

(١) انظر : أ- نوار ، عبدالعزيز سليمان وعبدالمجيد نعنعي . التاريخ المعاصر . ص ٥٩ و ١٧٥-١٨٣ .

ب- راشد ، زينب عصمت . تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر . ص ٢١٩ و ٢٢٦-٢٢٨ .

(٢) انظر : أ- الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٤٩-٣٥٠ .

ب- ليفه ، جورج وررولان موسنييه . موسوعة تاريخ أوروبا العام . ج ٣ ، ص ٦٢ و ٦٥ .

١٢- أهملت مبادئ الثورة جانب الإنسان الروحي ، ودعمت – في مقابل ذلك – المذهب الفردي المادي ، وعبَّرت عن فردية الإنسان بصورة عنيفة مفرطة ، فأثارت فيه رغبته الملحة في الحرية المطلقة ، بسقوط القيود الدينية والأخلاقية ، فلا يلتزم بشيء نحو غيره – أياً كان – إلا ما كان عن ضرورة اجتماعية يفرضها القانون المتفق عليه ، فلا يُسأل الفرد عما يفعل ؛ بحيث يتحول إلى إله يحكم نفسه وتصرفاته ، فأحلَّت الثورة – بمضمونها الفكري- الإنسان محل الإله ، وخلعت عليه صفاته الإلهية المطلقة ، فهو الذي يقرر الحقائق كما يراها في نفسه ، ويتخذ القرار لنفسه بعيداً عن أيَّة سلطة خارجة عنه ، أو فكرة سابقة تؤثر فيه ، فهو بذلك لا يطرد السلطة الروحية من حياته فقط ؛ وإنما يطرد معها أيضاً الحقيقة الدينية برمتها .[١]

١٣- لقد تحول مجتمع الثورة الديمقراطي إلى مجتمع من الآلهة ، تحكمهم – بالقانون المتفق عليه – سلطة سياسية ، هي

---

(١) انظر : الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٣٤-٣٣٩ و ٣٤٥-٣٤٩ .

الأخرى تنحى منحى الآلهة في تقرير الحقائق والتعبير عنها ، فتستعبد الناس بصورة طوعية دون إجبار ، من خلال ذوبانهم واندماجهم فيها ، فهي المعبِّر عنهم ، والممثل لهم ، والقائم بهم ، وبذلك تصبح الدولة والفرد شيئاً واحداً ؛ بحيث تذوب الأنا الفردية في الأنا الجماعية ، مما يفرض على الفرد – بصورة طوعية مقنعة – طاعتها المطلقة ، باعتبارها إيَّاه ؛ فهي وهو كيان واحد ، وهذا من شأنه تعبيد الناس لسلطة الدولة المطلقة ، فالمجتمع الديمقراطي بعد الثورة استبدل دكتاتورية الملك وسلطته الإلهية المطلقة بدكتاتورية الدولة الديمقراطية وسلطتها الإلهية المطلقة ، وهذه الدكتاتورية الديمقراطية أبشع وأخطر على الإنسانية من الدكتاتورية التقليدية ؛ لكونها تتمكن من السلطة والنفوذ المطلق باختيار الناس ومحض إرادتهم ، وما من عائق في المجتمع الديمقراطي يعترض عليها ؛ فالأفراد والجماعات والقانون كلهم مؤيدون لها في نفوذها وسلطتها ؛ [1] بحيث ينحصر دور الجماهير في التصديق على

---

(١) انظر : أ- المرجع السابق . ص ٣٣٧ و ٣٤٣-٣٤٤ و ٣٥٠-٣٥١ .
ب- غروتويزن ، برنار . فلسفة الثورة الفرنسية . ص ١٠٩-١١١ .

القرارات التي تصدرها الصفوة الحاكمة (المنتخَبَة) ، ثم ينحازون إلى الظل ليمارسوا – بعد ذلك – دور المتفرج على الأحداث – مشاهدة ومتابعة – فلا يشاركون في شيء من تفاعلاتها ، فضلاً عن التدخل في صناعتها ، [1] وقد نبَّه وزير مالية واشنطن ألكسندر هاميلتون عن خطر الجماهير الشعبية على السلطة حين تُمكَّن من الممارسة الديموقراطية الفعلية ، فوصف الشعب بأنه وحش ضخم ، ولا بد للصفوة الحاكمة أن تحمي نفسها منه . [2]

١٤- تجنبت فرنسا الحديثة إدانة الصين حول مخالفاتها المتكررة لحقوق الإنسان ؛ لكونها عزمت على توقيع صفقة سلاح معها . [3]

١٥- تحظر فرنسا في هذه الأيام على المسلمات المقيمات فيها حق الحجاب ، وتضطهد الأقليات المسلمة فيها . [4]

١٦- إدانة حكومة فرنسا المفكر الفرنسي روجيه

---

(١) تشومسكي ، ناعوم . إهدار الحقيقة . ص ٧ و ٦٤ .

(٢) المرجع السابق . ص ٦٣ .

(٣) الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٥٧ .

(٤) انظر : أزمة الحجاب في فرنسا وتداعياتها على الشبكة العنكبوتية .

جارودي ومحاكمته ، لمجرد آرائه الدينية .[1]

١٧- أخطر ما جنته وثيقة حقوق الإنسان إغفالها ذكر الله تعالى بالكلية .

على الرغم من إنجازات الثورة الإيجابية لصالح الأمة الفرنسية ، ولا سيما الطبقة الكادحة من الشعب ؛ فإن حجماً كبيراً من السلبيات رافقت أحداث الثورة ونتجت عنها ، ولا يمكن لمحلل أحداث الثورة وتداعياتها أن يغفل هذه السلبيات ، متأثراً بوقع الثورة على نفسه ، وروعة أحداثها ، وعجائب تفصيلاتها ؛ فإن الجناية على الدين ، بتفريغه من محتواه ، ورفض تعاليمه ، وعزله بالكلية عن الحياة ، باعتبار الدين - أياً كان - شيئاً غير عقلاني : هو في حد ذاته من أعظم سلبيات هذه الثورة ، ومن أشد مفاسدها ، وهذا مضمون ما نادت به الماركسية في أوج قوتها ، حين قال قادتها : " إن الدين أفيون الشعوب " ،[2] إضافة إلى إفراط مبادئ الثورة

---

(١) انظر : الرفاعي ، أحمد باسل . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . ص ٣٥٦-٣٥٧ .

(٢) بودون ، ريمون وفرانسوا بوريكو . المعجم النقدي لعلم الاجتماع . ص ٣١٦ .

في التعبير عن مفهوم الحرية ، الذي يُحيل الإنسان إلى مجرد حيوان ذكي .

ثم إن تمكين الجميع من التمتع بحرياتهم على قدم المساواة يكاد يكون أمراً مستحيل التطبيق ، وإنما هو من أماني الماسونيين ودعاياتهم الكاذبة ؛ إذ لا بد من خضوع فئة لأخرى حتى تستقيم الحياة . [1]

كما أن الحياة بغير دين لا يمكن أن تعمر وتبقى ؛ لكون الأخلاق تفتقر إلى قوة ملزمة ، وسلطة رادعة يشعر معها الأفراد بلزومها وفرضها ، فالدين والأخلاق مرتبطان ومتداخلان ، وهما " شيء واحد ، فلا دين بغير أخلاق ، ولا أخلاق بغير دين " ، [2] ولا يمكن الاعتماد في الضبط الخلقي على القانون وحده ، مهما كان محكماً ومؤيداً شعبياً ، وإنما الاعتماد بالدرجة الأولى على الوازع الداخلي للأفراد ، الذي يثيره الدين بقوة سلطته الروحية .

لقد اعتقدت فرنسا بعد الثورة أنها مؤهلة إلى قيادة

---

(١) كار ، وليام غاي . أحجار على رقعة الشطرنج . ص ٧٩-٨٠ .
(٢) عبدالرحمن ، طه . سؤال الأخلاق . ص ٥٢ .

العالم نحو الحرية والعدل والمساواة ، وأنها قادرة على تقديم العون للشعوب المستضعفة لتحريرها ، فإذا بها تتعثر في مكانها ، وتخفق في لمّ شعثها ، وتوحيد صفها الداخلي ، حتى انتهى بها الحال إلى سفك الدماء ، وتصفية نفسها بنفسها .[1]

ولم يكن كل من أيّد الثورة مخلصاً لها ؛ فقد كان بعض رجال حاشية الملك لويس السادس عشر مؤيِّدين للثورة عليه رغبة في الانتقام منه ، وليس رغبة في مبادئ الثورة ، ولا تحقيقاً لأهدافها .[2]

---

(١) ليفه ، جورج ورولان موسنييه . موسوعة تاريخ أوروبا العام . ج ٣ ، ص ٦٨ و ١٢١-١٢٢ .

(٢) انظر : سندسني ، وجدا . الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . ص ٧٩ .

الخاتمة

أولاً : نتائج البحث :

من خلال معالجة فقرات البحث ، وموضوعاته العلمية : توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- تعتبر الثورة الفرنسية من أكثر الثورات تـأثيراً في الفكـر العالمي ، ومن أوسعها انتشاراً وامتداداً خارج حدودها ؛ لما حملته من المبادئ والقيم المثيرة للإعجاب .

٢- مثلت الثورة الفرنسية بقوة فلاسفة عصر التنوير ، فكانت صدى لآرائهم ، وأفكارهم ، ومـواقفهم ، فيمـا يتعلـق بالحرية ، والعدالة ، والمساواة ، والدين .

٣- أسهمت في صناعة الثورة الفرنسية ظروف : اقتصـادية ، واجتماعية ، وثقافية ، وسياسـية ، وتاريخيـة ، ودينيـة ، اجتمعت متفاعلة فيما بينها لتكوين تيار الثورة المتدفق ، والشامل للمدن والأرياف ، والمستوعب للطبقـة العامـة الكادحة من أبناء الحضر والفلاحين .

٤- تولَّت الطبقة البرجوازية من أبنـاء الطبقـة العامـة قيـادة الثـورة : فكـراً وحركـة ، بهـدف انتـزاع السـلطة مـن الأرستقراطيين .

٥- عمّت فرنسا بعد سقوط الباستيل سنوات مؤلمة من التنافس الشديد ، والتناحر العنيف بين الأحزاب البرجوازية المتسابقة على السلطة ، نجم عنه فوضى عارمة ، وتجاوزات سياسية ، وتسلط غير مبرر ، مما أثار في الشعب مشاعر شديدة من الإحباط والتشاؤم .

٦- لم يكن إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية هدفاً متوقعاً للثورة ، وإنما هو من تداعياتها غير المقصودة ؛ إذ كان أقصى مراد الثوار تحجيم سلطة الملك والنبلاء والكنيسة ، وتقييد تصرفاتهم بالإرادة الشعبية .

٧- استطاع نابليون بونابرت أن يخمد الصراعات الداخلية ، ويوحِّد الجميع بفتح جبهات قتالية مع بعض دول الجوار والمشرق الإسلامي ، نقل بها التنافس الداخلي بين الأحزاب إلى نزاع عسكري خارجي .

٨- وثيقة حقوق الإنسان الفرنسية أفضل ما توصلت إليه قريحة البرجوازيين آنذاك من الحقوق الإنسانية ؛ فقد أبرزت بقوة مفرطة الحرية الفردية ، وسيادة الأمة ، وسلطة القانون ، وأما ما ورد فيها من مبادئ إيجابية ؛ فقد سبق للشريعة الإسلامية تأصيلها ، والدعوة إليها ،

والعمل بها .

٩- العلاقة قوية بين الثورة الفرنسية وفئة النورانيين من الماسونيين اليهود ، تمثلت في العداء المفرط للوجهة الدينية ممثلة في الكنيسة والبابا ، وفيما يعزز مكانهما في النظام الملكي والإقطاعي ؛ فقد كان للمال اليهودي ، والمحافل الماسونية دور في توجيه الثورة ، إضافة إلى التهور البونابرتي ، الذي بلغ مصر وفلسطين ، محققاً آمال اليهود بالعودة إلى الأرض المقدسة ، مما أثار الحمية الإسلامية ، والروح الجهادية ، التي أجبرت الجيوش الفرنسية على التراجع ، والاندحار عن المشرق الإسلامي .

١٠- رغم إنجازات الثورة الإيجابية ؛ فإن لها العديد من المثالب في مخالفتها لمبادئها في مواقف كثيرة ، مثل : إثارتها الحروب ، وإغفالها العديد من الحقوق ، إضافة إلى صراعات قادتها الدموية ، التي أسفرت عن مآسٍ يصعب تجاوزها ، فالشعب الفرنسي - بعد الثورة - استبدل تسلطاً بتسلط ، وظلماً بظلم .

ثانياً : توصيات البحث :

في ختام هذه الدراسة تجدر الإشارة إلى بعض التوصيات العلمية ، التي يمكن أن تخدم موضوع الثورة الفرنسية ، وذلك على النحو الآتي:

١- الكشف عن أثر الوثيقة الفرنسية لحقوق الإنسان في دساتير العالم المتحضر ، والتعرف على المبادئ الجديدة التي أضيفت على هذه الوثيقة .

٢- المزاوجة بين الحقوق في الشريعة الإسلامية ، وما ورد من بنود في وثيقة حقوق الإنسان الفرنسية للتعرف على أسبقية الشريعة في ذلك .

٣- السعي في الكشف عن الأيدي اليهودية الخفية وراء العديد من ثورات العالم في أوروبا ، وأمريكا ، وروسيا ، والتعرف على أدوار هذه الأيدي في صناعة الأحداث وتوجيهها ، والمصالح التي ترمي إليها .

٤- دراسة طبيعة الشخصية الثورية من خلال أحداث الثورة الفرنسية وتداعياتها .

٥- تقويم قرارات وممارسات الحكومة الفرنسية المعاصرة في

الألفية الثالثة في مجال حقوق الإنسان ، في ضوء وثيقة الثورة الأولى لحقوق الإنسان .

٦- تحذير الحكومات من مغبة الاستبداد السياسي ، الذي قد يسوق العامة إلى العنف والفوضى .

تم بحمد الله تعالى

المراجـــع

١- الأدهمي ، محمد مظفر (١٩٨٤هـ) . دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث . الرباط : مكتبة المعارف .

٢- البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (١٤١٠هـ) . صحيح البخاري . تحقيق مصطفى ديب البغا . ط ٤ . دمشق : دار ابن كثير .

٣- بدوي ، أحمد زكي (١٩٧٧م) . معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية . (د . ط) . بيروت : مكتبة لبنان .

٤- البطريق ، عبد الحميد وعبد العزيز نوار (١٣٩٤هـ) . التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . (د . ط) . بيروت : دار النهضة العربية .

٥- البعلبكي ، منير (١٩٨١م) . موسوعة المورد . بيروت : دار العلم للملايين .

٦- بودون ، ريمون وفرانسوا بوريكو (١٤٠٦هـ) . المعجم النقدي لعلم الاجتماع . ترجمة سليم حداد . بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر .

٧- الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (١٤٠٨هـ) . الجامع الصحيح . تحقيق كمال يوسف الحوت . بيروت : دار الكتب العلمية . و (د . ت) تحقيق أحمد محمد شاكر . (د . م) : دار إحياء

التراث العربي .
٨- التل ، عبدالله (١٣٩٩هـ) . خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية . ط ٣ . بيروت : المكتب الإسلامي .
٩- تشومسكي ، ناعوم (١٤٢٦هـ) . إهدار الحقيقة . تحرير دونالدو ماسيدو ، ترجمة نعيمة علي . القاهرة : مكتبة الشروق الدولية .
١٠- الجادرجي ، رؤوف بك (١٩٢٤م) . التاريخ السياسي . تحقيق رشيد الهاشمي . (د . ط .) . بغداد : المكتبة العربية .
١١- الجبرتي ، عبدالرحمن (د . ت) . تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار . (د . ط) . بيروت : دار الجيل .
١٢- جلال ، حسن (٢٠٠٩م) . الثورة الفرنسية . القاهرة : دار مشارق .
١٣- حاطوم ، نور الدين (١٤١٦هـ) . تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا والعالم . بيروت : دار الفكر المعاصر .
١٤- الحاكم ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد النيسابوري (د . ت) . المستدرك . (د . ط) . بيروت : دار المعرفة .
١٥- الحوالي ، سفر عبدالرحمن (١٤٠٢هـ) . العلمانية - نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة . مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
١٦- الدوسري ، عبدالرحمن محمد (١٤١٤هـ) . اليهودية والماسونية . الخبر : دار السنة .

١٧- ديورانت ، ول (د . ت) . قصة الحضارة . ترجمة زكي نجيب محمود و آخرين . بيروت : دار الجيل .

١٨- ذبيان ، سامي وآخرون (١٩٩٠م) . قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . لندن : رياض الريس للكتب والنشر .

١٩- راشـــد ، زينب عصمت (١٤٢٦هـ) . تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر . (د . ط .) . القاهرة : دار الفكر العربي .

٢٠- رضا ، محمد رشيد (١٣٩٣هـ) . تفسير المنار . ط ٢ . بيروت : دار المعرفة .

٢١- الرفاعي ، أحمد باسل (١٤٢٠هـ) . " حقوق الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية " . مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها . العدد (١٩) . جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

٢٢- رمضان ، عبد العظيم (١٩٩٧م) . تاريخ أوروبا والعالم الحديث . (د . ط .) . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٣- سلطان ، عثمان (١٣٤٤هـ) . التاريخ السياسي . (د . ط .) . دمشق : مكتبة الاعتماد .

٢٤- سندسني ، وجدا (٢٠٠٦م) . الثورة الفرنسية والحملة الفرنســية على مصر . ترجمة مدحت عايد فهمي . القاهرة : مكتبة مدبولي .

٢٥- سوبول ، ألبير (١٩٨٢م) . تاريخ الثورة الفرنسية . ترجمة جورج كوسى . (ط٣) . بيروت : منشورات عويدات .

٢٦- صالح ، محمد محمد (١٤٠٢هـ) . تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية . (د . ط .) . بغداد : دار الجاحظ .

٢٧- صبح ، محمد أحمد (١٤١٣هـ) . التربية الإسلامية - دراسة مقارنة . بيروت : دار الجيل .

٢٨- صلاواتي ، ياسين (١٤٢٢هـ) . الموسوعة العربية الميسرة والموسعة . (د . م) : مؤسسة التاريخ العربي .

٢٩- صليبا ، جميل (١٤١٤هـ) . المعجم الفلسفي . (د . ط) . بيروت : الشركة العالمية للكتاب .

٣٠- طبلية ، القطب محمد (١٤٠٤هـ) . الإسلام وحقوق الإنسان - دراسة مقارنة . ط٢ . (د . م) : دار الفكر العربي .

٣١- عبدالباقي ، محمد فؤاد (١٤٠١هـ) . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . ط ٢ . بيروت : دار الفكر .

٣٢- عبدالرحمن ، طه (٢٠٠٠م) . سؤال الأخلاق . الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي .

٣٣- آل عمر ، محمد علي (١٤٢٤هـ) . عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين . كتاب البيان ، الرياض .

٣٤- عوض ، لويس (١٩٩٢م) . الثورة الفرنسية . (د . ط .) . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣٥- غروتويزن ، برنار (١٩٨٢م) . فلسفة الثورة الفرنسة . ترجمة عيسى عصفور . بيروت : منشورات عويدات .

٣٦- فان دالين ، ديوبولد (١٩٩٣م) . مناهج البحث في التربية وعلم النفس . ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرين . ط ١٠ . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .

٣٧- فريج ، غازي محمد (١٤١١هـ) . النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة . بيروت : دار النفائس .

٣٨- فوللر ، ج . ف . (١٩٧١هـ) . إدارة الحرب . ترجمة أكرم ديري . (د . ط .) . بيروت : دار اليقظة العربية .

٣٩- فيشر ، هربرت (١٩٦١هـ) . أصول التاريخ الأوروبي الحديث . ترجمة زينب عصمت وآخران . (ط٣) . القاهرة : دار المعارف بمصر .

٤٠- قاسم ، محمد وأحمد نجيب هاشم (١٩٦٥م) . التاريخ الحديث والمعاصر . (د . ط .) . القاهرة : دار المعارف بمصر .

٤١- ابن القيم ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي (١٤٠٢هـ) . زاد المعاد في هدي خير العباد . تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط . ط ٣ . بيروت : مؤسسة الرسالة .

٤٢- كار ، وليام غاي (١٤١٢هـ) . أحجار على رقعة الشطرنج . ترجمة سعيد جزائرلي وم . بدوي . بيروت : دار النفائس .

٤٣- كروزيه ، موريس وآخرون (١٩٩٨م) . تاريخ الحضارات العام . ترجمة يوسف داغر وفريد داغر . ط ٤ . بيروت : منشورات عويدات .

٤٤- ليفه ، جورج ورولان موسنييه (١٩٩٥م) . موسوعة تاريخ أوروبا العام . ترجمة حسين حيدر وآخرين . بيروت : منشورات عويدات .

٤٥- ليفير ، جورج (١٩٧٠م) . عصر الثورة الفرنسة . ترجمة جلال يحيى . (د . ط .) . الإسكندرية : دار الكتب الجامعية .

٤٦- محمود ، أمين عبد الله (١٩٨٤م) . مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت .

٤٧- المرزوقي ، إبراهيم عبدالله (١٩٩٧م) . حقوق الإنسان في الإسلام . ترجمة محمد حسين مرسي وحسن الحفناوي . أبو ظبي : المجمع الثقافي .

٤٨- مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (د . ت) . صحيح مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي . (د . ط) . (د . م) : دار إحياء التراث العربي .

٤٩- المسيري ، عبدالوهاب (٢٠٠٦م) . موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية . ط ٣ . القاهرة : دار الشروق .

٥٠- مقدمة في الليبرالية من موسوعة ويكيبديا (١٤٢٧هـ) . ترجمة آمال كيلاني . القاهرة : مكتبة الشروق الدولية .

٥١- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (١٤١٤هـ) . لسان العرب . ط ٣ . بيروت : دار صادر .

٥٢- مورو ، محمد (د . ت .) . تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية إلى الثورة . المنصورة : مكتبة الإيمان .

٥٣- موسنييه ، رولان وآخران (١٩٦٨هـ) . القرن الثامن عشر - عهد الأنوار . ترجمة يوسف سعد داغر وفريد داغر . بيروت : منشورات عويدات .

٥٤- المؤلف (١٤٠٣هـ) . بروتوكولات حكماء صهيون . بيروت : دار القرآن الكريم .

٥٥- النحلاوي ، عبدالرحمن (١٣٩٩هـ) . أصول التربية الإسلامية وأساليبها . (د . ط) . دمشق : دار الفكر .

٥٦- نهرو ، جواهر لال (١٤١٧هـ) . لمحات من تاريخ العالم . ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين . (د . ط .) . بيروت : دار الجيل .

٥٧- نوار ، عبد العزيز سليمان (١٤٢٦هـ) . التاريخ الحديث - أوروبا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية . (د . ط) . القاهرة : دار الفكر العربي .

٥٨- نوار ، عبدالعزيز سليمان وعبدالمجيد نعنعي (١٤٠٦هـ) . التاريخ المعاصر . (د . ط) . بيروت : دار النهضة العربية .

٥٩- نويهض ، عجاج (١٩٨٤م) . بروتوكولات حكماء صهيون . عمان : دار الجيل .

٦٠- هارون ، عبدالسلام (١٣٧٤هـ) . تهذيب سيرة ابن هشام . (د . ط) . مكة المكرمة : دار الباز .

٦١- وفيتش ، شيريب سبيريد (١٤٠٧هـ) . حكومـة العـالم الخفيـة .
ترجمة مأمون سعيد . ط ٧ . بيروت : دار النفائس .
٦٢- يالجن ، مقداد (١٤٠٦هـ) . جوانب التربية الإسلامية الأساسية .
بيروت : مؤسسة دار الريحاني .

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

□□□□□□





لقد انطلقت الثورة الفرنسية من عمق المجتمع الفرنسي ، مندفعة بمعاناته، ومؤيدة بآراء فلاسفة عصر التنوير ، بقيادة الطبقة الوسطى (البرجوازية)، فهدَّمت البنى الأساسية للنظام الملكي وحلفائه من الإقطاعيين والرهبان، وأسست لفكرتيْ الحرية والفردية في أقصى درجات تطرفهما ، وأقامت القانون والأمة مقام كلِّ شيء ، وأعطت للسلطة السياسية المنتخبة الحق المطلق في أقوى صوره للتعبير عن الفرد والأمة، الممتزجين معاً في كيان واحد ، تديره السلطة السياسية، محققة بذلك مصالحها الحزبية ، مما أدى إلى مآسٍ اجتماعية وسياسية واسعة ، وأسفر عن نوع جديد من التسلط السياسيِ الطوعيِ ، في مقابل التسلط السياسي الجبري السابق ، فاستبدل الفرنسيون ظلماً بظلم ، وتسلطاً بتسلط .

وفي ضوء الحقائق التاريخية تحتاج الثورة الفرنسية إلى تقويم من الوجهة التربوية الإسلامية ، لا سيما ما نادت به من المبادئ ، والأفكار ، والآراء ، التي أخذت صداها في العالم ؛ لكونها حملت رسالة فكرية للشعوب ، تخطت بها حدودها الجغرافية والمحلية .

ومن اللطائف أن الباحث انتهى من كتابة هذا البحث قبل اندلاع الثورات العربية بشهرين فقط ، فقد ألمح في بيانه عن أهمية البحث إلى احتمال قيام ثورات عربية مماثلة ، فقال : (لما كان العالم الإسلامي الحديث ، يعيش ضمن منظومة دول العالم الثالث النامية ، التي تعاني تخلف التنمية ، وضعف الموارد ، والاضطهاد السياسي ؛ فإنه مرشح لتبنِّي بعض أطروحات الثورة الفرنسية ، بأبعادها الفكرية المتطرفة ، والحركية العنيفة ؛ إذ لا بد للغليان الشعبي من متنفَّسٍ ؛ لذا يجد المتأزِّمون في الطرح الليبرالي – المدعوم بآراء الثورة الفرنسية – متنفَّساً للتعبير عن الغضب والاستنكار الشعبي للمظالم الاقتصادية ، والاستبداد السياسي ؛ إذ إن أهم ما يميز الليبرالية في صورها المختلفة هو مراقبة السلطة السياسية وضبطها، سواء كانت هذه السلطة ممثلة في الدولة أو في الدين) .

وها هو البحث بين يدي القارئ العربي في صورته الأولى قبل اندلاع الثورات العربية دون إضافة أو حذف .

الناشر

